رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس

للعارف بالله سيدي محمد العربي بن عبد الله شنتوف
(1857 - 1930 م)

(شيخ زاوية سيدي بن عبد الله الشاذلية بحاضرة معسكر)





دراسة وتحقيق وتعليق:
صلاح الدين بن نعوم

رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس

للعارف بالله سيدي محمد العربي بن عبد الله شنتوف
(1857 - 1930 م)

(شيخ زاوية سيدي بن عبد الله الشاذلية بحاضرة معسكر)

دراسة وتحقيق وتعليق:
صلاح الدين بن نعوم

دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف | صلاح الدين بن نعوم
الكتاب | رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس
الصفحات | 64 صفحة
القياس | 14 x 20 سم

ردمك: 6-222-38-9947-978
فيفري 2019

دار المجدد للنشر والتوزيع
02 نهج حفصي الطاهر (وراء الولاية)- سطيف/الجزائر
036.82.58.09 /0550.96.31.19 / 0550.96.31.07
على الفيس بوك: دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

قبس

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ اَلسَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَاتِيكَ اَلْيَقِينُ﴾

(الحجر: 97- 99).

إهداء

إلى روح الشيخ سيدي محمد العربي شننتوف رحمه الله

إلى روح أبي الأكبر الشيخ الهاشمي بن نعوم رحمه الله

إلى الشيخ أحمد شننتوف حفظه الله تعالى توفي رحمه الله

في: 31-01-2019م

1441هـ

إلى كل مهتم بالحكمة والموعظة

أهدي هذا العمل.

مقدمة:

باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

إن رصيد المغرب الإسلامي من المخطوطات والوثائق والأرشيف، الذي فرض نفسه رغم مرور السنين، وتوالي المحتلين، وما تعرض له من الإهمال العارض من الملاّك وغيرهم، لا يزال ينتظر التفاتة أولي الألباب والرشاد، لإخراجه من صورته الخطية التقليدية القليلة النُسخ، إلى صورته المطبعية المنشورة بالمكتبات والجامعات والمعاهد وغيرها، ونحن ندرك قيمة التراث وأهمية دراسته وتحقيقه ونشره، كونه مرآة الأمة وسراجها، فضلا عن فتحه لمقاربات وأبعاد جديدة في خصوصيات الشعوب أنثروبولوجيا وأسطوغرافيا واجتماعيا ودينيا، وغيرها من الخصوصيات التي تشكل مُجْتَمِعةً كيان وهوية الأمة والمجتمع.

وعملا على سدّ ثغور التراث، وترقيع خروق التاريخ، قدِمت على دراسة وتحقيق ما توفر لدي من نسخ المخطوطات، منها المخطوط المعني في عملنا هذا، الموسوم بـ "رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس"، وهو من جملة تآليف الشيخ العارف بالله سيدي محمد العربي بن عبد الله شنتوف، يكشف من خلاله أحوال بعض علوم الدين في حاضرة معسكر، منها علم العقائد والتصوف، الذي تقل عناوينه في الوطن الراشدي بالمقارنة مع التصانيف الفقهية والأدبية والتاريخية، وباعتبار أن التصوف من العلوم التي لا يكتب فيها إلا من بلغ مبلغه في علم الشريعة والحقيقة.

يُحيلنا هذا المخطوط، إلى الكلام عن أهم قلاع العلم والثقافة بحاضرة معسكر، وهي زاوية الشيخ سيدي بن عبد الله شنتوف الواقعة بحي بابا علي القديم، فهي مركز علمي لتخريج طلبة العلم وتهيئتهم للمشيخة والإمامة على الناس في أمور دينهم، فكان من الطبيعي أن تتوفر هذه الزاوية على خزانة مخطوطات وكتب معتبرة في مختلف العلوم النقلية والعقلية، نذكر منها: نُسَخ القرآن الكريم، مختصر سيدي خليل، المكودي على الألفية، الصُغرى للسنوسي، تفاسير القرآن الكريم، صحيح البخاري، مختصر صحيح مسلم

للنووي، الحكم العطائية، إحياء علوم الدين، وجامع الأصول للكمشخانوي، فضلا عن تآليف سيدي بن عبد الله التي بلغت ثلاثة عشر تأليفا، وتآليف ابنه سيدي العربي، وكذا التقاييد والأسانيد والأوراد والرسائل وغيرها الكثير، يؤكد على أن الخزانة كانت ثرية جدا، وللأسف بلغني أن جزءاً منها ضاع واندثر، وإن كان مبدئي واقتناعي أن غالبها نُقل إلى أماكن مختلة، وكثيرا ما وقفت على مثل هذه الحالات، خاصة مع خزانة زاوية سيدي بن عبد الله المعنية، فبعض مخطوطاتها موجودة بوهران وغليزان والمسيلة وغيرها.

إذا فإن هذه الرسالة المعنية بالدراسة، هي من جملة خزانة الزاوية الشنتوفية الشاذلية، التي كُتب لها النجاة والظهور، أملا في أن يتبعها ما بقي من مؤلفات الشيخ العربي شنتوف ومؤلفات والده ووثائقهم، والكلام نفسه يُعنى به البقية مُلّاك المخطوطات وأصحاب الخزائن الخاصة، ننتظر تجاوبهم مع طلبة العلم.

وأخيرا، إن بقية الكلام مبسوط فيما سيأتي حول المخطوط وصاحبه، أملا في أن يلقى استحسان القراء، ويوافق مقصود الباحثين وطلاب العلم، إن شاء الله تعالى.

صلاح الدين بن نعوم
معسكر في: 2018/12/09.

قسم الدراسة

حياة الشيخ محمد العربي بن عبد الله شنتوف

حول مخطوط رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس

1- حياة الشيخ محمد العربي بن عبد الله شننتوف:

أ- نسبه:

ينتمي الشيخ محمد العربي بن عبد الله إلى عائلة شننتوف، التي جمعت بين الفضيلة والعلم والجهاد والحسب والنسب، وبدورها تُعدُّ من بيوتات فرع أولاد سيدي الهاشمي بن علي أبو شننتوف، وهو الحفيد الخامس لسيدي أحمد بن علي الثعباني الغريسي الحسني الحسيني، فالشيخ العارف بالله وبشريعته، سيدي محمد العربي هو بن القطب سيدي بن عبد الله بن عبد القادر (المدعو بن علي) بن محمد بن الهاشمي بن علي الملقب بأبي شننتوف بن سحنون بن أحمد بن محمد بن سيدي أحمد بن علي الحسني الحسيني.[1]

ب- النشأة والتكوين:

وُلِد سيدي العربي شننتوف عام 1857م بحاضرة معسكر، حفظ القرآن الكريم وتفقه في علوم الدين واللغة على يد والده سيدي بن عبد الله شننتوف في الزاوية التي تحمل اسمه بحي بابا علي في مدينة معسكر، كما حضر سيدي العربي مجالس أخيه الشيخ سيدي عبد القادر بن عبد الله،[2] يقول المترجَم له في هذا الصدد: "وقرأتُ عليه في الفقه والنحو والمعقول والمعاني والبيان والبديع، وقد اقتصر الآن على الصحاح والتفاسير لكلام الله، قرأت عليه القسطلاني على البخاري بتمامه مرتين في ظرف عشر سنوات، وقرأت عليه النووي على مسلم، والزرقاني على الموطأ... والإحياء للغزالي بتمامه، والمنن والمواهب، وشيئا كثيرا من أنواع العلوم... وأخذت الطريقة الشاذلية عنه بعد الأخذ عن أبي وأبيه بسنده إلى ربّ العالمين"، وقرأ الفقه والنحو أيضا على شيخه وخاله العلامة سيدي محمد بن الدايج الحسني.[3]

---

[1] - اعتمادا على أعمدة ومشجرات نسب بخزانتي.

[2] - بن بكار بلهاشمي، مجموع النسب والحسب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961م، ص 180.

[3] - شننتوف العربي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز، مخطوط بخزانة الشيخ محمد التهامي، معسكر، لوحة 26، 27- 31.

ج- مشيخته:

تولى الشيخ العربي أمر زاوية والده بحي بابا علي منذ سنة 1341ه/ 1922م إلى سنة 1930م، وهو ثالث من تولى مشيختها بعد والده وأخيه سيدي عبد القادر، يقول صاحب المرآة: "وسار سيرة أخيه من إرشاد وتدريس وغير ذلك"، فتخرج على يديه طلبة العلم، وجدد على يديه المريدون الطريقة الشاذلية، منهم الحاج محمد بن شاوش، الذي صاهره بأن زوجه ابنته.[1]

د- تآليفه:

ترك سيدي العربي بن عبد الله شننتوف بعض المؤلفات والآثار، منها:

- "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز":[2] دوّن فيه رحلته إلى البقاع المقدسة التي بدأها في ذي القعدة 1319ه/ 1901م.

- "نور الإنسان في الرحلة إلى الغوث بتلمسان"،[3] تضمن رحلته إلى تلمسان، تحديدا إلى ضريح سيدي أبو مدين الغوث بالعَبَّاد، ألبسها سيدي العربي من علم التصوف ومسائل العقيدة والكلام مثل ما فعل في تأليفه الأول.

- "العقد الصحيح المنتظم"،[4] وهو نظم في التوحيد وعلم الكلام.

- "رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس": وهو التأليف المعني بالتحقيق في دراستي هذه.

---

[1] - الجيلاني عبد الحكم العطافي، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، نسخة خاصة، الجزائر، ط2، 2006م، ص ص 308- 388.

[2] - حققه مخلوفي ميلود المحفوظي، ونشرته وزارة الشؤون الدينية سنة 2011.

[3] - ذكره صاحبه في رسالة تعطير الانفاس.

[4] - نقل بعض أبياته في رسالة تعطير الأنفاس.

ولسيدي العربي شننتوف رسائل صوفية أخرى وتقاييد تحتاج لجمع وتصنيف، فضلا عن قصائده في الرثاء والمديح.

هـ- وفاته:

ذكر المفتي الشيخ بلهاشمي بن بكار في مجموعه أن وفاة الشيخ الحاج محمد العربي شننتوف كانت حوالي سنة 1932م، وإن كان الراجح قول صاحب المرآة أنه توفي في حدود الساعة الخامسة من آخر نهار يوم السبت 29 شعبان 1348هـ، الموافق لسنة 1930م، رحمه الله تعالى.[1]

2- حول مخطوط رسالة تعطير الانفاس لإخواننا من أهل فاس:

أ- مضمونه:

يعتبر هذا المخطوط نافذة تنظيرية لسلوك سادة الطريقة البوشننتوفية السحنونية الغريسية الدرقاوية الشاذلية، لمؤسسها القطب الرباني سيدي بن عبد الله شننتوف صاحب الزاوية، التي شهدت بين جدرانها وتحت سقفها ذكر الذاكرين، وصرير أقلام الكاتبين، واعتكاف الزاهدين، وصولة المجاهدين، وحرز اللاجئين وحضرات المقربين، أسس بها سيدي بن عبد الله شننتوف الطريقة، وأتمم فيها سيدي عبد القادر ابنه الحقيقة، لتتجلى عند سيدي العربي شقيقه في هذه الوثيقة، التي ابتدأها بالمحبة وهي ابتداء البدء، وعرض فيها أحواله العرفانية، وأسرار الطريقة الشاذلية، المقتبسة من نور المحمدية، فذاق بها حلاوة العبادة، وقربى حضرة السادة، قضت شريعتهم أن تكون بعد التخلي فالتحلي حتى التجلي، الذي بشر به سيدي العربي شننتوف إخوانه الفاسيين، فأوصاهم ونصحهم بالتزام الجماعة وقبول الطاعة، وحذرهم أيما حذر، من المتشابه والمسائل التي لا تبقي ولا تذر، ثم رغّبهم بالقربات، وأسرار الأسماء والصفات، وما كان له فيها من الحظوظ والموهوبات، وأن هذا العلم اللدني، غايته توحيد الله تعالى، وليأنس الإخوان بفاس، ويذهب عنهم الريب والباس، أتحفهم بمهذبه في الأصول، وهو بداية الوصول، وبه

---

[1] - أنظر: بن بكار بلهاشمي، المصدر السابق، ص 161. وانظر: الجيلاني عبد الحكم، المصدر السابق، ص308.

بلوغ المحصول، ويختم المؤلف الرسالة، التي أرخها في خمسٍ وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق لست وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد.

ب- أهميته:

إن هذه الرسالة على قلة أوراقها تضمنت مسائل عديدة ومختلفة، فهي في ذاتها تعتبر إضافة جديدة وإثراء للببليوغرافيا التاريخية والصوفية، فضلا عما تحمله من مسائل عقدية وكلامية تُهم الباحثين في هذا الميدان، وبالمقابل تُبين لنا بشكل واضح منهج الشيخ سيدي العربي بن عبد الله شنتوف في الأصول والتصوف وعلم الكلام، خاصة وأنّ له آراءه الشخصية واجتهاداته في بعض مسائلها، وكذا دفاعه عن المنهج الصوفي وتبريره لشطحات بعض أعلامه، ونفي بعض المسائل التي لُفقت ضدهم، خاصة في مسألة الحلول ووحدة الوجود وغيرها، كما يظهر من خلال هذه الرسالة تأثير النزعة الصوفية في طريقة تعبيره واستخدامه لمصطلحاتها الكثيرة والمختلفة، اضطررت للاستعانة بالقاموس والمعجم الصوفي لشرحها وتعريفها وتبسيط مفهومها.

من النقاط المهمة أيضا في هذه الرسالة، هي تطرق المؤلف لبعض تآليفه الأخرى، خاصة التي لا زالت في حكم المخطوط، فهو بذلك يفتح لنا نافذة لأخذ فكرة مبدئية عن هذه التآليف ومضانها، فمن ذلك على سبيل المثال، تطرقه لكتابه "نور الإنسان في الرحلة إلى الغوث بتلمسان"، يُبين أنه قد ضمّنه مسائل عقدية وصوفية، فيقول: "فليحذر الصوفي الشائق، والولي الصادق، أن يتلجلج في فهمه أو وهمه شيء من ذلك، فيلتحق بالجهلة ويهوى في المهالك، وإن وقع من أكابر مشايخنا رضي الله عنهم فإنما هو مجرد محبة وعشق، لأن العبد عبد والرب رب، كما بينا ذلك في كتابنا الموسوم بـنور الإنسان"،[1] كما يذكر تأليفا آخر له خصّه بالمسائل العقدية والصوفية والكلامية والفلسفية، وهو مهم جدا في بابه، كتبه نظما وسماه: "العقد الصحيح المنتظم"، والأهم من ذلك أن سيدي العربي شنتوف نقل من نظمه

---

[1] - أنظر: مخطوط رسالة تعطير الأنفاس، لوحة 03، 04.

المذكور ستة وعشرين بيتا من أبياته، وضمّنها في رسالته المعنية بالتحقيق، فهذه جزئية مهمة جدا ما دام هذا النظم في حكم المخطوط.

ج- مصادره:

يظهر من خلال مطالعة مضمون الرسالة اعتماد المؤلف على عدة مصادر، نقسمها إلى ما يلي:

- مصادر شفهية: إن تأثر الشيخ محمد العربي شنتوف بوالده سيدي بن عبد الله بن عبد القادر واضح جدا في متن الرسالة، وهذا طبيعي جدا كون والده هو معلمه ومربيه الأول، فينقل عنه مآثره من طرق مختلفة، منها المشافهة، فيقول على سبيل المثال في رسالته: «وأننا قد سمعنا من الوالد أستاذنا قدس سره...».[1]

- مصادر موثّقة: وفيها اعتمد المؤلف على جملة من العناوين، منها كتبه التي ألفها من قبل، وهي: "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجار"، "نور الإنسان في الرحلة إلى الغوث بتلمسان"، "العقد الصحيح المنتظم".

ومن المصادر المكتوبة أيضا: القرآن الكريم، كتب الصِّحاح مثل البخاري ومسلم ومسند أبي يعلى وغيرها، وكتب في علوم القوم وما تعلق بها، مثل كتاب "جامع الأصول" للكمشخانوي الخالدي النقشبندي، المواقف للأمير عبد القادر الحسني الجزائري، الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، ومؤلفات ابن عجيبة مثل تفسيره للقرآن الكريم وشرحه للبردة والحكم العطائية، واعتمد على دواوين شعرية أيضا، مثل ديوان أبيه سيدي بن عبد الله شنتوف الموسوم بـ "الحلل الفردوسية في نظم قطب الغريسية"، وديوان الأمير عبد القادر الجزائري.

- مصادر ذاتية: وهي المكتسبات القبلية ومحفوظات المؤلف ونتائج تجربته العلمية والصوفية التي اعتمد عليها، وظهرت في النصوص التي ارتجلها استذكارا دون إيعازها إلى مصادرها، أو الاكتفاء في بعض الأحيان بذكر صاحبها، فمن ذلك نقله لنصوص أو معلومات عن ابن عربي، مثلما جاء في

---

[1] - مخطوط رسالة تعطير الأنفاس، لوحة 04.

الرسالة: "القول بالخلق الجديد، كما يقول به بعض العارفين كابن عربي"،[1] دون تحديد أيّ تآليف الشيخ الأكبر، ومثل ذلك في نقله لمآثر بقية السادة الصوفية كالحلاج وأبي مدين الغوث التلمساني، والإمام الهروي وبن عزوز المراكشي ومولانا العربي الدرقاوي والنابلسي وغيرهم، فضلا عن نقوله لآراء ومسائل المعتزلة والأشاعرة أهل السنة والجماعة.

أما الشقّ الآخر من مصادره الذاتية فهي القائمة على آرائه الشخصية واجتهاداته العلمية وعلى كفاءته في عِلْمَيْ الشريعة والحقيقة، وكذا أحكامه من خلال تجربته العرفانية الخاصة، ويظهر ذلك جليا في بعض عباراته التي يعوزها إليه، كقوله: " قلت: أما من كونها مظاهر ومجال فهي سبع..."،[2] ويستقل برأيه في بعض المسائل كقوله: "على أني لا أقول بكلام بن عربي..."،[3] وما شاكل هذه الأمثلة الكثير، تدلّ على استقلالية الشيخ محمد العربي شننتوف بآرائه في بعض المسائل وجزئياتها.

- مصادر أخرى: والمتمثلة في الكشوفات والكرامات والأحوال العرفانية التي عاشها وشهدها المؤلف الشيخ العربي شننتوف، ويظهر أنها احتلت الحيِّز الأكبر من رسالته، فيبتدئ بها مباشرة بعد المقدمة، فذكر رؤياه، ثم استرسل في تجربته في الحضرة، ويُخصص فيما بعد كلاما عن كرامته من ذكره لاسم الله الأعظم.

د- وصف نسخة المخطوط:

أما في الكلام عن المخطوطة، فهي نسخة مصورة بخزانة شيخنا سي الحاج أحمد شننتوف بارك الله فيه، شيخ زاوية جده سيدي بن عبد الله شننتوف بحي باب علي، ويظهر أن النسخة الأصلية بخزانة السيد عبد القادر شراك، لأن النسخة مختومة باسمه، وهي تقع ضمن مجموع، كون الترقيم يبتدأ فيها من الرقم 118 إلى الرقم 138، مكتوبة بخط مغربي، وتقع في 11 ورقة، بمعدل 21 سطرا في الورقة الواحدة، بخط مؤلفها الشيخ العربي بن عبد الله

[1] - مخطوط رسالة تعطير الأنفاس، لوحة 07.
[2] - المصدر نفسه، لوحة 09.
[3] - المصدر نفسه، لوحة 10.

شنتوف، فهي النسخة الأصلية (الأم)، كتبها سنة 1345ه الموافق لسنة 1926م، أي قبل أربع سنوات من وفاته رحمه الله، وربما كانت هذه الرسالة آخر تآليفه، والله أعلم.

ورغم محاولتي المتواضعة في البحث عن نسخة أخرى للمخطوط في خزائن الغرب الجزائري واطلاعي على الفهارس المتوفرة، إلا أني لم أصل إلى النتيجة المرجوة، فاكتفيت بهذه النسخة المعتمدة، وقد استوفت شروط التحقيق في هذه الحالة، فهي تامة كاملة بخط مؤلفها، واضح رسمها مجملا، وفي حالة ممتازة، فرُخص في هذه الحالة تحقيقه ونشره، لضرورة التعريف بتراث أعلام الجزائر.

ابتدأ المؤلف رسالته بقوله: " الحمد لله الذي أشرق على قلوب خواصه شمس معرفته، فاختطفهم بأشعتها خطفات هيبته، فأبرز لهم بذلك عرائس الوجود، فصاروا مخطوفين لحضرته مَجتبين لقربته..."،[1] وختمها بـ: "كتبه وسطره الفقير إلى مولاه محمّد العربي نجل بن عبد الله الحُسيني ثم الحَسني الدرقوي (كذا) الغريسي الثعباني، على ما به من المرض في الجوهر والعرض، والعبد إن كان صحيحا سالما فذوا تقصير وجمع معانيه في تكسير، في اليوم الرابع من ربيع الثاني المنتظم في سلك خمس وأربعين بعد الثلاثة مائة والألف من هجرة من هو على أكمل ألف، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، سنة 1345هـ".[2]

في هذه النسخة المعتمدة مراجعة وتصحيح واحد من طرف المؤلف نفسه بالمتن، ونص المراجعة: «"تحذق الجملة من قوله: وأحكي لحضرتكم أن سبب مرضي وإبطال نصفي"، إلى قوله: "وقد رقمت لحضرتكم هاته الرسالة"، فيصير نظم الكلام هكذا: "وبقي القل وزال الكثر، وقد رقمت لحضرتكم هاته الرسالة، ولما وصلت أظن النصف" الخ، لأن فيه بعض تشويش للبعض"».[3]

---

[1] - مخطوط رسالة تعطير الأنفاس، لوحة 01.
[2] - المصدر نفسه، لوحة 11.
[3] - المصدر نفسه، لوحة 02.

هـ- عنوان المخطوط ونسبته للشيخ العربي شنتوف:

لا شك أن المخطوط ومن خلال أسلوب الكتابة ومنهج المؤلف وطريقته في التعبير، فضلا عن مضمونه، يُطابق تماما تآليف ووثائق أخرى تعود للشيخ العربي بن عبد الله شنتوف، كما تأكدت نسبتنا له استنادا على المخطوط نفسه الذي ورد في آخره اسم الشيخ العربي شنتوف وبخط يده، حيث جاء فيه: "كتبه وسطره الفقير إلى مولاه محمّد العربي نجل بن عبد الله الحُسيني ثم الحَسني الدرقاوي الغريسي الثعباني"، فهو محمد العربي بن سيدي بن عبد الله شنتوف الحسيني ثم الحسني، الدرقاوي الشاذلي طريقة، الغريسي موطنا، الثعباني سلفا، فلا ريب في نسبته إليه.

أما عن عنوان المخطوط، فإني لم أقف على نص صريح يؤكد على أن المخطوط عنونه مؤلفه بـ "رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس"، بل كُتب هذا العنوان بحجم كبير في بداية المخطوط، وبخط مغاير لخط المتن، فلربما هو خط مالك المخطوط، وإن كان وارد جدا أن حجم العنوان الكبير أو اختلاف القلم وتركيز المداد أو نوعه يؤثر في نوعية الخط من المؤلف نفسه، وإلا فإني أستأنس ببعض الإشارات والقرائن التي توافق مدلول العنوان وألفاظه، فمن ذلك قول المؤلف: "لما كانت رسائل المحبين جالبة للأفراح ومطفية لنيران البعد والأتراح"، وقوله في موضع آخر: "وقد رقمت لحضرتكم هاته الرسالة"، وقال أيضا: "إخواننا الفاسيين، بعد إهداء سلام يليق بالجناب فنعطف الذيل على الولدان والأحباب عاطر فواح، تبتهج به القلوب وتنتعش به الأرواح"،[1] وهذا يوافق تماما مدلول عنوان الرسالة، ونحن نعلم عن استعمال الشيخ العربي شنتوف للسجع في عناوين كتبه، فيكون العنوان من صياغة المؤلف، وبخط المتصرف في المخطوط، والله أعلم.

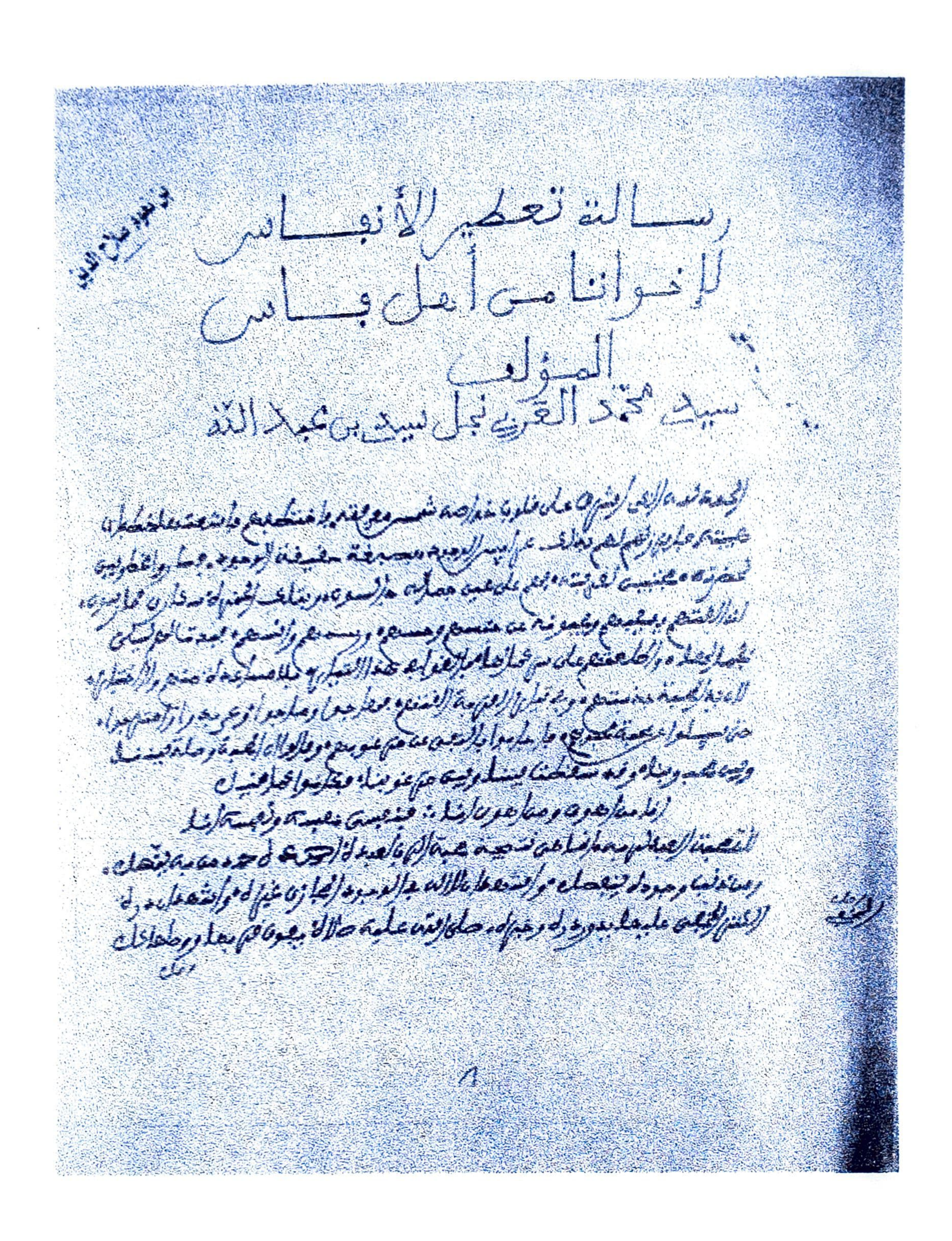
و- عملنا في التحقيق:

بما أن النسخة المعتمدة بخط مؤلفها، تامة من أولها إلى آخرها، والخطوط في مجملها واضح حرفها، اكتفيت بالموجود، وقدمت على تحقيق

---

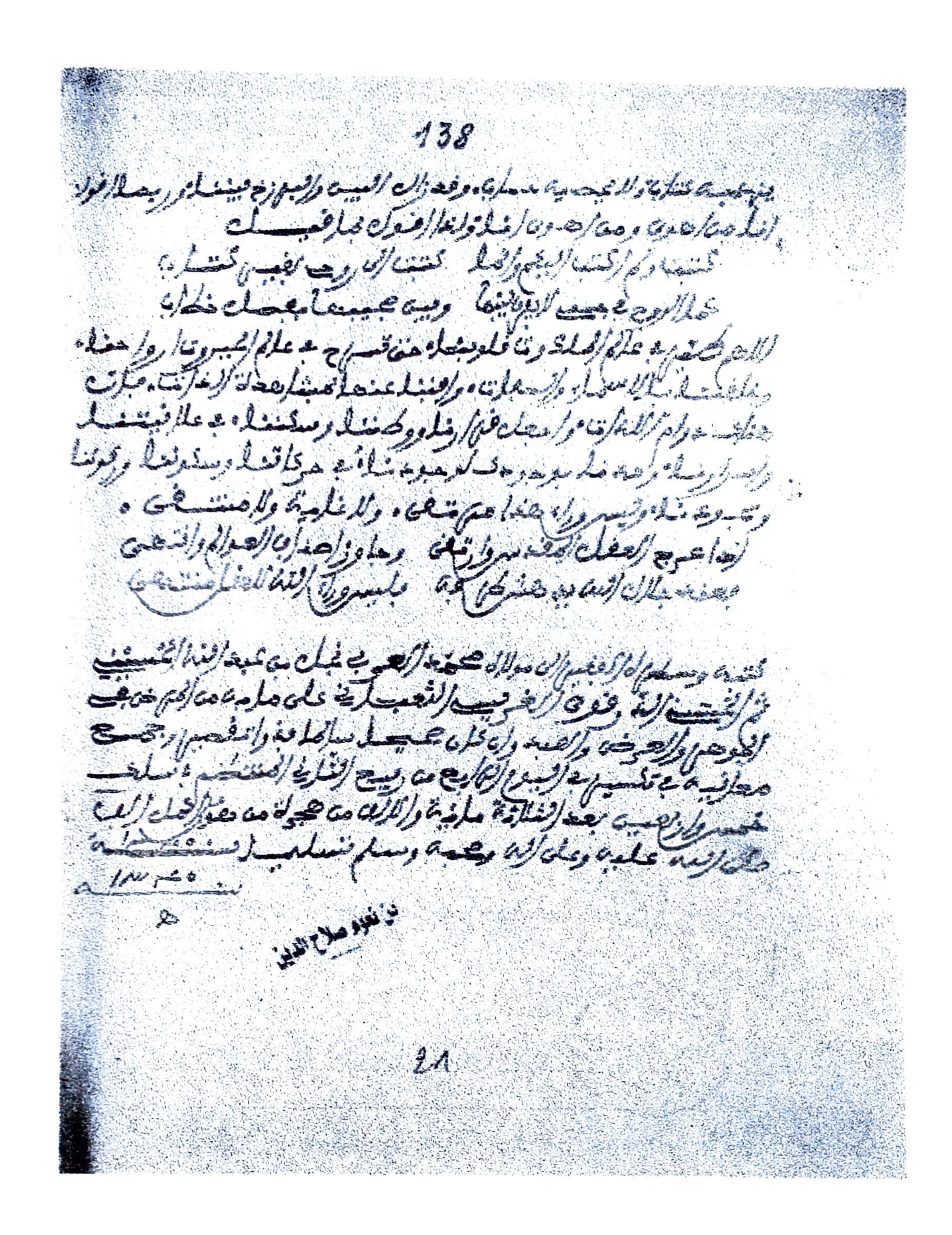
[1] - مخطوط رسالة تعطير الأنفاس، لوحة 02- 04.

المقصود، واستعنت بواجب الوجود، فكان أول أمري أن كررت قراءة المخطوط، ثم حررت متنه، وقسمت المتن إلى فقرات، ثم اتخذت لها عناوين، ولأنها لا تخلوا من نقول، حاولت الرجوع إلى الأصول، وقارنت بها نص المخطوط للوقوف على الاختلاف، وأمانة المؤلف في النقل والإنصاف، من باب ما تمليه المنهجية فقط، وإن كان لا يخلوا كتاب آدمي من الغلط، ثم شرحت ما أشكل من لفظها اصطلاحا، وترجمت ما ورد فيها من الأعلام، وخرجت الأحاديث والآي، ولتوضيح متن المخطوط وتنظيمه، وضعت رموزا وإشارات فنية كما هو معروف في الدراسات العلمية.



رسالة تعطير الأنفاس
لإخواننا من أهل فاس
المؤلف
سيدي محمد العربي نجل سيدي بن عبد الله

اللوحة الأولى من مخطوط رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس.



اللوحة الأخيرة من مخطوط رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس.

قسم التحقيق

رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس

للشيخ محمد العربي بن عبد الله شنتوف

[مقدمة الرسالة]

الحمد لله الذي أشرق على قلوب خواصه شمس معرفته، فاختطفهم بأشعتها خطفات هيبته، فأبرز لهم بذلك عرائس الوجود، فصاروا مخطوفين لحضرته[1] مجتبين لقربته، فهم على عين جماله جالسون وبتلك الخمرة سكارى ممارسون، إذا لقتهم يد يحبهم ويحبونه عن جنسهم وحسهم، ورسمهم وأنسهم فبدت لهم ليلى بجمالها، وأطلعتهم على سر كمالها، فألقوا في هذا التيار، بلا مساعدة منهم ولا اختيار، لأن يد المحبة جذبتهم، وفي تيار القربة ألقتهم، فهاجوا وماجوا، وعربدوا[2] وامتزجوا، حتى سئلوا عن محبة محبوبهم، فأجابوا بالنفي عن مرغوبهم، وقالوا أن المحبة وصلة بيننا وبين محبوبنا، وقد سقطت بيننا وبين مرغوبنا، فكانوا كما قيل:

أَنَا مَن أَهْوى وَمَن أَهْوى أَنَا *** فَنَفْسِي نَفْسُهُ وَنَفْسُهُ أَنَـــا

لأن محبة العبد لربه، إنما هي نتيجة محبة الرب لعبده، أحمده حمد من به يتصل، ومن ذنب وجوده ينفصل، وأشهد أن لا إله في الوجود المجازي غيره، وأشهد أن درة الكنز المخفي عليها يدور دره وخيره، صلى الله عليه صلاة يفوق قربها ووصلها كل وصل، حق ينفي قرب قاب القرب والتّصل،[3] وآله الدائبين على الوصول، وصحابته المتآلفين على المحصول، وبعد؛ فإنه لما كانت رسائل المحبين جالبة للأفراح ومطفية لنيران البعد والأتراح،[4] تتحرى وتهيج بها الكوامن، وتتضح بها المحاسن، فيجري بها ماء الغيب

---

[1]- هي حضور العبد مع الحق، وقال العارف بالله النابلسي: هي ما يحضر الحق تعالى به من عوالم الإمكان، بحيث يغيب العبد عن شهوده نفسه وغيره، ويحضر عنده ربه متجليا بكل شيء. وهي عند ابن عربي ثلاث مراتب: ملك وملكوت وجبروت. أنظر: الحكيم سعاد، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، ط1، 1982، ص ص 323- 325- 327.

[2] - عربد: سور في السكر، وسورة الخمر حدتّها، وسوار الفرح: دبيب الشراب في الرأس، أي دبّ فيه الفرح دبيب الشراب. وسوّار: أي معربد من سار إذا وثب وثبَ المعربد. أنظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 3، عرد- عربد، ص 289. ثم انظر: ابن منظور، المصدر نفسه، سور، مج 4، ص 384، 385.

[3] - التّصل: الثبوت والإقبال. أنظر: ابن منظور، المصدر نفسه، مج 11، نصل، ص 663.

[4] - الأتراح: الأحزان. ابن منظور، المصدر نفسه، ترح، مج 2، ص 417.

الغير الآسن،[1] رقمنا لحضرتكم هذه الحروف، إجابة لرسالتكم النورانية من قلوبكم العرفانية، وتنبيها على ما مسنا من الضر بعد مفارقة الأشباح،[2] وإن كانت المعاكمة[3] قد حصلت بالأرواح، وبعض علوم ووصايا، فأقول وقد بقي في الزوايا خفايا:

[رؤيا المؤلف]

إني لما قربت مغادرة ديار عاصمتكم، وذلك لما نويت الأوبة ليلة الثامن عشر، رأيت رأيا فرحت بها، وهي أني رأيت أولياء المغرب كلهم أتوني أفواجا أفواجا، يقدم الجميع مولانا إدريس الأكبر،[4] وتلقوني كلهم بفرح وسرور وجلالة وتعظيم، ففرحت بذلك أشد فرح وفرحي الشديد لقبولي عندهم، لأنهم حضرة الحق، والباب عند من ماثلهم من ذوي الألباب، رضي الله عنهم وعنا بهم.

[أحوال حضرة المؤلف]

ولما رجعنا لمسقط رؤوسنا ومهد نفوسنا، جعل الله دائما يومنا خيرا من أمسنا، إلى الدخول في رمسنا،[5] كان قد أصابني خفق اعتراني من السفر، كما قررته لحضرتكم سابقا، وإن كان على وجه مختصر، ثم بعد ذلك ضيفني الحق تعالى، أعظم وأجل مما كان قد ضيفني قبل، وذلك أني كنت أدَرس

---

[1] - الغير الآسن: أي الغير متغير ريحه. فمياه آسنٌ: متغير. أنظر: ابن منظور، المصدر نفسه، مج 13، أسن، ص 16.

[2] - الشبح: ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق. ابن منظور، المصدر السابق، مج 2، شبح، ص 494.

[3] - المعاكمة: ضم الشيء إلى الشيء. ابن منظور، المصدر نفسه، مج 11، عكم، ص 415.

[4] - هو إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، رحل من الحجاز إلى المغرب الأقصى سنة 172 هـ بعد وقعة فخ، أظهر دعوته لدى قبائل البربر فأجابوه، وأقام مملكته وأسس عاصمتها فاس، وإليه يُنسب الأشراف الحسنيين الأدارسة، توفي مسموما سنة 177 هـ/ 793م. أنظر: الخالدي العمراني عبد السلام، الجواهر الباهرة في النسب الشريف وما تفرع من آدم إلى أزمنتنا الحاضرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 115، 118.

[5] - الرمس: الصوت الخفي، ورمس الشيء: طمس أثره، ورمس عليه الخبر: كتمه. ولعل الشيخ يقصد به السرّ. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، رمس، مج 6، ص 101، 102.

بمولانا فنيس[1] (كذا) وغيره على الهمزية البوصيرية[2] الشاذلية،[3] ويلحّن الفقراء ببعض القصائد كل ليلة المولود الشريف، وإذا بنصفي الأيسر من رأسي إلى قدمِ قد بطل، وأن الازدراد[4] والابتلاع قد انتفى مني بالكلية، حتى إني حاولت نحو الليلتين ازدراد ريقي فلم يحصل، وإني عرفت أنه تعرف لنا بالحضرة الجلالية، فكما تعرف لنا بالجمال[5] تعرف بالجلال،[6] وأحمده على كل حال، لأن دوام الحال من المحال ومن ذلك الوقت صرت أتدرج شيئا فشيئا إلى أن وقع الازدراد، ثم بقي على شيء من البرودة بنصفي الأيسر، حتى إني لا أحس بالنار إن وقفت عليه إلا مثل تمشية النمل، إلا أني أتمشى قليلا وأخرج وأدخل، لكن يميني التي أخذت بها هذا القلم، فإنها لا زالت ثقيلة علي، وبالجملة فإن كثرة الجلال قد أميطت عني، وبقي القُلّ وزال الكثر.[7]

---

[1] ـ أو قبيس. ولم أوفق في معنى كلامه هنا.

[2] ـ الهمزية في مدح خير البرية، للبوصيري، التي مطلعها: كيف ترقى رقيّك الأنبياء * يا سماء ما طاولتها سماء

[3] ـ تُنسب إلى الإمام أبي الحسن علي الشاذلي الذي وُلد بالمغرب الأقصى سنة 1196م/ 593هـ، وهو تلميذ عبد السلام بن مشيش تلميذ أبي مدين شعيب، وشاذلة بلدة بتونس اختلى بها الشيخ أبو الحسن علي. أنظر: شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 106، 107.

[4] ـ الازدراد: البلع، وزرده: خنقه. ابن منظور، المصدر السابق، مج 3، زرد، ص 194.

[5] ـ هو تجليه بوجهه لذاته، فلجماله المطلق جلال هو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه فلم يبق أحد حتى يراه، وهو ظهوره في الكل... جاء في اصطلاحات ابن عربي: "هي أثر مشاهدة جلال الله في القلب". أنظر: الكاشاني عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تح: عبد العال شاهين، دار المنار، ط1، 1992، ص 65.

[6] ـ هو احتجاب الحق سبحانه عنا بعزته أن نعرفه بحقيقته وهويته كما يعرف هو ذاته، فإن ذاته لا يراها أحد على ما هي عليه إلا هو. الكاشاني عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 65.

[7] ـ جاء في المتن تسويدا: "تحذق الجملة من قوله: وأحكي لحضرتكم أن سبب مرضي وإبطال نصفي"، إلى قوله: "وقد رقمت لحضرتكم هاته الرسالة"، فيصير نظم الكلام هكذا، وبقي القل وزال الكثر، وقد رقمت لحضرتكم هاته الرسالة، ولما وصلت أظن النصف الخ، لأن فيه بعض تشويش للبعض".

وأحكي لحضرتكم أن سبب مرضي وإبطال نصفي المعبر عنه عند الأطباء بالفالج،[1] هو أني رأيتني أنه أتاني أناس أن أشفع لهم عند حاكم، فساعدتهم ودخلت الحكومة العظيمة، وركضت فرسي العظيم ووطأت به فروشها بهم، فقبل شفاعتي، ثم إنهم عمدوا إلى شيء أفرغوه حينا من صُفر[2] على قدر نصفي، فأدخلوا رجلي الواحدة فيه إلى نصف رأسي، ثم أوقدوا نارا في وسط الصفر، وصار رجلي إلى رأسي في وسط هذه النار الذي حواه الصفر، ثم رأيت من ليس كمثله شيء في تلك الحال ورأيته رُأيا شرعية من كونه ليس كمثله شيء، لا رأيا مثل التجلي[3] المعهود عند الصوفية من كونه على صورة إنسان مثلا، أو صورة شمس أو قمر.

فناداني فأجبته بعد تحققه أنه الحق تعالى،[4] وهذا النداء والسؤال فهمته منه فهما أعظم من المتعارف، ولم يكن فيه صوت ولا حرف، وأنه قال: إنك أردت الجمال لخلقي لا الجلال، وأردت أن تشفع في ذلك، قلت: نعم، قال لي: أنت في نفسك وذاتك مركب من جمال وجلال، فيك جمال فقط أو جلال فقط، أو مركب منهما، قلت: أنا مركب من جمال وجلال حتى لو أدركني الجلال إني لا أعتبر أحدا ولا أنثني إلا إذا بلغت منه مبلغا، أو شفيت غليلي، قال: قد حكمت على نفسك بنفسك، وانسدل الحجاب،[5] ثم قيل لي: لا بد لك أن تجعل محاميا، المعروف ببوقـاضوا،[6] يتكلم عليك ويحميك، ففتّشت على المحامي العظيم، الذي يقدر أن يفل هاته النازلة، ولم يوجد مثله، فقيل لي: الذي تفتش

---

[1] - الفالج: ريح يأخذ الإنسان فيذهب بشقّه، ويذهب نصفه، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "الفالج داءُ الأنبياء". وهو داءٌ معروف يرخي بعض البدن. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق مج 2، فلج، ص 346.

[2] - الصفر: ماء أصفر، والصفر الذي تُعمل منه الآنية. أنظر: ابن منظور، المصدر نفسه، صفر، ص 461، 462.

[3] - التجلي: هو إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه، وقيل: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب. الحفني عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1987، ص 41، 42.

[4] - ويُعرف بالخطاب الإلهي: وهو على ثلاث مراتب عند ابن عربي، وعلى عشر عند ابن القيم. أنظر: الحكيم سعاد، المرجع السابق، ص 403، 404.

[5] - انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحقائق. الكاشاني عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 81.

[6] - لفظ عامي، من الكلمة الإسبانية abogado أي المحامي.

على هاته الهيئة لم يوجد في الأرض هيهات، بل في السماء واسمه أحمد، فقلت: نعم أصعد إليه، فصعدت إليه بكلفة ومشقة فادحة، فقال: نعم أنا أتكلم، ومن شرط تكلمي عدم الفلوس والدراهيم، فأولت المحامي به صلى الله عليه وسلم، لأنه في السماء اسمه أحمد، كما أن اسمه في الأرض محمد، وأولت هاته الرؤيا، أن الله أدبني فأحسن تأديبي، كأنه يقول: فإن دعوتني فادعني مفوضا، لأنني أفعل ما أشاء، وهذا شأن العارفين، لأنهم يدعون بي لا بهم، ولي جمال وجلال فلربما سبق في علمي جلال وأنت تريد الجمال، اللهم اجعل ما نحبّه هو الذي تحبه، ولا تجعل شقوتنا بما نحبه ولا تحبه، وأن الحقيقة المحمدية هي المحامية، وهي التي تناضل عني لأني مأذون من تلك الحضرة هذا ما ظهر لي، ولكل شيء قهر الحذف[1] من هناك إلى هنا.

[مدح المؤلف لأهل فاس]

وقد رقمت لحضرتكم هاته الرسالة، ولما وصلت أظن النصف منها وإذا بأمر فاجائي[2] أيضا، وهو خفقان عظيم من قلبي الضعيف، فبقي علتي نحو التسع ساعات فلكية، فلقيت أمرا صعبا، ومشقة فادحة، والحاصل أني لم أرجع إلى تلك الكتابة إلا بعد ثلاث ليال مما دهمني، ثم أقلع عني وأنا في انشراح صدر وبال، وقد زال عني كل إشكال بورود أثر الإشكال، وقلت في حضرتكم:

ألا حبّذ أفـاسُ ونفسُ رجـالِـهِ * وأرواحُهم إن كان فاسُ على العَهْدِ

نعمْ إنَّهُم أهْـلُ العُهودِ بِحُبِّهِم * وَكُـلُّ فتى منهم خَلِيفٌ على الوِدِّ

فلـي رفـقـة بـه أحقُّ بِـربِّنـا * ومِن فرع جـدِّنـا الذَّبيِّ محمّـدِ

وقد زال عن قلبي غَيَاهِبُ جهلِهِ * بـنـفْـسِ رجـالِـهِ وديـنِ مـحـمّـدِ

---

[1] ـ أو الجذب: وهو عند الصوفية تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه. أنظر: الكاشاني عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 65.

[2] ـ في الأصل فجاني.

فقد رَفعوا الأعلامَ مَن كُلِّ وِجهةٍ * وقد شَيَّدوا الإسلامَ مِن كلِّ مسجدِ

فطوبى لهم والعلمُ ينبُعُ صـــاعداً * ولكن على قَدِّ المعـالي مَدُّ الكِدِّ

والفضـلُ فيهم فرضٌ والذِّكرُ مؤبَّدٌ * والنُّورُ لهم حِصــنٌ والدِّينُ بِلا عَدِّ

أقولُ ونفسُ القولِ مِنِّي رَكَـاكَـةٌ * لأنَّني أمـدحُ أرواحي من الوِرْدِ

وهل رأيتَ الإنســانَ يمدحُ نفسَـهُ * نعم إن كان الإنســانُ يُقْتَلُ بالحَدِّ

فَعِزٌّ وَهَيْبَـةٌ ونـورٌ وبـهجـةٌ * لـمن حَـوَاهُ فـاسُ وكـلُّ مُـؤَيِّـدِ

أُصلّ صلاة الوصل في كل لحظة * على جدِّنـا الهـادي النَّبيِّ محمَّـدِ

وآلهِ والأصحابِ ما ألف الصَّـدى * لأرواحِهِم إن كان فاسُ على العهدِ

[في إشارة إلى علم منطق الطير][1]

ولما بعثتْ حضرتكم لنا بذلك الطائر الأخضر، كنت أوصفه بعيني، فينشر جناحيه ويناجيني سرا بسلامتكم، وبإهداء السلام لنا من حضرات أحبائنا كلهم، كمثل سيدي محمد بن يحي، وسيدي علي بن إبراهيم وأبويهما وغيرهما،[2] وسلام والدكم وغيره ذلك، فأنظر له نظرة أسف، حيث لم أقدر أن أجيبه حتى إلى اليوم، وإن كان بي ثقل إلا أن الله تعالى ساعد أصابعي تتحول من هنا إلى هنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إلا بما عند الشخص المشاهد المتنبّه التي فتحت اليقظة[3] عن بصيرته، وجل الإسم الأعظم الله مرآة سريرته، وعلم قول الله في الحديث القدسي: "لا يزال عبدي

[1] - وفيه يظهر معرفة الشيخ سيدي العربي شنتوف بعلم منطق الطير، وهو العلم الذي اختص به سيدنا سليمان من قبل، كما في قوله تعالى: {وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير} (النمل 16). ولفظ "عُلّمنا"، جعل البعض يُصنفه من العلوم لا من المعجزات، وقد بلغني عن الشيخ سي البشير سلطاني رحمه الله، أن العلّامة العارف بالله سيدي بن عبد الله شنتوف كانت له دروس في علم منطق الطير يُدَرّسها في زاويته بحي بابا علي، والله أعلم.

[2] - حاولت البحث عن تراجمهم في كتب التراجم والفهارس، ولكن دون جدوى، والذي يظهر أنهم من مريدي الطريقة الدرقاوية.

[3] - في الأصل: اليقضة.

يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره"، وفي آخر "سمعا وبصرا"، وفي آخر "وفؤادا"، وفي آخر "ولسانا ويدا، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش"،[1] وهذا من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم: "لي وقت لا يسعني فيه غير ربي"،[2] ووقع في الأثر: "أنا ومن أهوى، وما في الجبّة إلا الله" وقول الآخر "سبحاني"، وقول الآخر "ما أعظم شأني"،[3] وقد قيل على نحو ما أشرت إليه:

وَلَمَّا تصـــافَيْنا المحَبَّة بَيْنَنا * فـأنـا ومـن أهـوى كَشَـــيْءٍ واحـدِ

لا زِلْتُ أَقْرَبُ منه حتّى صـارلي * بصري وسمعي حيث كنت وساعدي

فـإذا رأيـتُ فلا أرى إلا بِـهِ * وإذا بطشـتُ فلا يزال مُسـاعدي

إن شئتُ شاءَ وإن أمرتُ فأمرُهُ * أمري فقـد بلغتُ فيـه مقـاصـدي

إن شـاءَ شـئتُ وما أرادَ أريدُهُ * فَلِي الهَنَا فقد بلغتُ فيه مقاصـدي

فأنا الذي أهوى ومن أهوى أنا * ما شـاءَ يَصـنعُ حاسـدي ومُعانِدي

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه: "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها...". أنظر: البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير بيروت، ط1، 2002، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم 6502، ص 1618.

[2] - حديث يذكره الصوفية كثيرا، ذُكر باللفظ أعلاه في رسالة القشيري، ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي في حديث "كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءً لله وجزءً لأهله وجزءً لنفسه...". أنظر: العجلوني إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة المقدسي، 1351هـ ج2، حديث رقم: 2159، ص 173، 174.

[3] - تُنسب للحلاج.

[في التحذير من صفات تنزّه الله عنها]

ولتعلموا أن الله تعالى لا يوصف بشيء مما أشرنا به من الأحاديث والأثر بحلول[1] ولا نزول،[2] ولا اتصال ولا انفصال، ولا بحركة ولا زوال، ولا مماسة ولا مجاورة، ولا محاذات ولا مقابلة، ولا مساوات ولا مماثلة، ولا مجانسة ولا مشاكلة،[3] كل ذلك نعوت الحدوث،[4] وهو قديم[5] يتحاشى عن سمات الحدوث، فليحذر الصوفي الشائق، والولي الصادق، أن يتلجلج[6] في فهمه أو وهمه شيء من ذلك، فيلتحق بالجهلة ويهوى في المهالك، وإن وقع من أكابر مشايخنا رضي الله عنهم فإنما هو مجرد محبة وعشق، لأن العبد عبد والرب رب، كما بينا ذلك في كتابنا الموسوم بـ "نور الإنسان"، فما شاكله ذلك وماثله القول فيه واحد يشير إلى محور الإثنين وثبوت الواحد، وبهذا ينحل لغز الشيخ الأكبر[7] قدس سره الأطهر، في قوله: "من وحد فقد

---

[1] - هو أن يحل الله في مخلوقاته، وهو منكر. وعند الصوفية هو فناء العبد في حضرة الله. أنظر: الحفني عبد المنعم، المرجع السابق، ص 82.

[2] - هو قول المشبهة (جماعة من المحدثين والمتأخرين من الحنابلة)، وتبعهم الوهابية في أخذهم بظاهر حديث "ينزل الله إلى السماء الدنيا في كل ليلة" من حيث المدلول والكيف، فوقعوا في التجسيم والتشبيه، وعلى هذا حمل جماعةٌ التأويلَ درءً للتشبيه وهو قول الأشاعرة، أما السلف فقد فوضوا إليه ما يوهم النقص ساكتين عن مدلوله. أنظر: ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر، لبنان، 2012، ص 457، 458.

[3] - فصّل في هذه المذاهب ابن خلدون في مقدمته، المصدر نفسه، ص 465.

[4] - الحدث: إسم لما لم يكن فكان. الحفني عبد المنعم، المرجع السابق، ص 75.

[5] - يطلق على الوجود الذي لا يكون وجوده من غيره، وهو القديم بالذات، ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقا بالعدم وهو القديم بالزمان، وكل قديم بالذات قديم بالزمان، وليس هذا سوى الله. أنظر: الحنفي، المرجع نفسه، ص 214.

[6] - اللجلجة: اختلاط الأصوات. ابن منظور، المصدر السابق، مج 2، لج، ص 355.

[7] - يقصد الشيخ العارف بالله محي الدين ابن عربي، وهو محمد بن علي بن محمد الحاتمي، من قبيلة حاتم الطائي، والمعروف باسم ابن عربي، والملقب بمحي الدين والشيخ الأكبر، ولد في مدينة مرسيه بالأندلس سنة 560هـ، أخذ عن شيوخ وعلماء عصره، ثم رحل إلى المشرق وأجازه جماعة منهم: الحافظ السلفي، وابن عساكر وأبو الفرج ابن الجوزي، ومن مؤلفاته: فصوص الحكم، الفتوحات المكية، تفسير القرآن الكريم، توفي بدمشق سنة 638هـ. أنظر: فاروق عبد المعطي، الأعلام من الفلاسفة ـــ محي الدين ابن عربي ـ، دار الكتب العلمية لبنان، ج 49، ص 23. وانظر أيضا: المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1988م، مج 2، ص 161، 162.

ألحد"[1]، لأن التوحيد مصدر وحّد يوحّد توحيدا، والتوحيد ليس فيه اثنينية أبدا عند مشايخنا، لأن الموحد إن بقيت نفسه فليس بموحد عند معظم الصوفية رضي الله عنهم، لأننا نأخذه من لفظ التوحيد، فإن كان موحد اسم فاعل، وموحد اسم مفعول، انتفى التوحيد وثبت التثني والشرك الخفي على ما عندهم، وبه تعلم قول العارف بالله الإمام الهروي[2] إذ يقول شعرا:

مَـا وَحَّـدَ الوَاحِـدُ مِن وَاحِدٍ *** إِذْ كُـلُّ مَـن وَحَّـدَهُ جاحـدُ

تـوحـيـدُه إِيّـاهُ تـوحـيـدُهُ *** ونَـعْـتُ مَـن يَـنْـعَـتُـهُ لَاحِـدُ

تَوْحيدُ مَن يَّنطِقُ عن نَّفسِـــهِ *** تـثـنِـيَـةٌ أَبـطَـلَـهـا الـواحـدُ

ومعنى التوحيد عندهم انتفاء عين الحدوث، وثبوت عين القدم، وأن الوجود كله حقيقة واحدة وآنيّة،[3] لكن هذا العلم تلقاه قوم بالتسليم وقابلوه بالقلب السليم، وحملوا على ذلك على قوله صلى الله عليه وسلم: "إن من العلم كهيئة المخزون، لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله".[4]

---

[1] - أنظر: الشعراني عبد الوهاب، لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية للشيخ الأكبر ختم الولاية المحمدية محي الدين بن عربي، تح: الشيخ أحمد فريد المزيدي، كتاب ناشرون، ج3، ص 423.

[2] - هو شيخ الإسلام الإمام الجليل القدوة الحافظ الكبير الصوفي العارف بالله إمام الحنابلة وشيخ خراسان في عصره، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، ونسبته الأنصاري، لأنه من نسل الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، ونسبه الهروي لمولده ببلد اسمه هراة بقندهار الواقعة بخراسان سنة 396 ه، لقب بشيخ الإسلام وخطيب العجم لفصاحته وعلمه ونبله، وكان حافظا للحديث، قطبا محققا في التصوف، عارفا بالتاريخ والأنساب، توفي رحمه الله سنة 481ه. يُنظر: اللخمي سديد الدين أبو محمد عبد المعطي الإسكندري، شرح منازل السائرين للهروي عبد الله الأنصاري، كتاب ناشرون، لبنان، ص ص 6- 8.

[3] - لتفصيل أكثر في المسألة أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص 469، 470.

[4] - الحديث جاء في أكثر من رواية، والتي نقلها الشيخ العربي شنتوف هي رواية عبد السلام بن صالح عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا العلماء بالله عز وجل، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل"، وعبد السلام بن صالح كان رجلا صالحا إلا أنه شيعي، وهو من رجال ابن ماجه، واختلف فيه العلماء، قال السيوطي: فالحاصل أن حديثه في

[وصية المؤلف للإخوان الفاسيين]

فيا إخواننا في الله، وأحبائنا من أجل الله، المتناصحين في الله، المتباذلين في الله، المتعارفين على طاعة الله، المتوجهين إلى الله، العاكفين على باب الله، القائمين بحقوق الله، إخواننا الفاسيين، بعد إهداء سلام يليق بالجناب فنعطف الذيل على الولدان والأحباب عاطر فواح، تبتهج به القلوب وتنتعش به الأرواح، الذي أوصيكم ونفسي به أن تعضوا بنواجدكم على أصول الشاذلية التي اعتمدوها أساسا أولها تقوى الله تعالى في السر والعلانية، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ}،[1] وهي قطب القرآن كما جاء في التفسير،[2] واتباع السنة في الأقوال والأفعال والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضى عن الله في القليل والكثير، والرجوع إليه في السراء والضراء، وأن تتخلقوا بأخلاق الله، وهي خلقه صلى الله عليه وسلم، لقول عائشة عليها السلام لما سُئلت عن خلقه قال:

مرتبة الضعيف الذي ليس بموضوع. قلت: ولو نظرنا في كتب الصحاح وأقوال علماء الحديث أن نعت الشيعي لا تؤثر في ثقة صاحبها أو في صحة الحديث، ومثال ذلك عبد الرحمن بن صالح الأزدي الكوفي الذي وُصف بالشيعي المحترق، إلّا أن يحي بن معين قال عنه: ثقة، وقال عنه الشيخ: لم يذكر بالضعف في الحديث. ومثله أيضا الشيعي عبد الملك بن أعين الشيباني، قال فيه ابن عيينة: رافضي، وقال حامد عن سفيان هم ثلاثة إخوة أخبثهم قولا عبد الملك، وقال أبو حاتم: هو من أعتى الشيعة محلّه الصّدق صالح الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وقد روى له البخاري ومسلم، وقد أوردت كل هذا توضيحا لصفة التشيع ومآلها عند أهل الحديث. أنظر: أبو عبد الله محمود الحداد، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، دار العاصمة للنشر بالرياض، 1987، ط1، ج1، ص 102، 103. أنظر أيضا: الجرجاني عبد الله ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية –لبنان-، ج5، رقم 184/ 1151، ص 515، 516. أنظر أيضا: العسقلاني ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1327ه، ج6، رقم 726، ص 385، 386. وانظر: صفوت عبد الفتاح محمود، المغني في معرفة رجال الصحيحين، دار الجيل، بيروت، دار عمّار، عمّان، ط1، 1987م، رقم 1360، ص 160.

[1] - سورة النساء، الآية 131.

[2] - لم أوفق في إثباتها، بل ذُكر أن قطب القرآن هي الآية الكريمة: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}. أنظر: بن عجيبة أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبع على نفقة حسن عباس زكي، القاهرة 1999م، مج 3، ص 157.

"كان خلقه القرآن"،[1] وبهذا أثنى الله عليه بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[2] ولم يقل كريم، لأنه لا تأخذه في الله لومة لائم، أو ضعف قلب يلائم منها الحلم والرأفة والشفقة والعفو والتجاوز عن العثرات، ولا تكونوا من المعترضين، لاسيما الأولياء والصالحون، {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}،[3] وتناصحوا في الدين وتواصوا بالحق واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وصححوا عليه الاعتماد تبلغوا سبيل الرشاد، وادعوا إلى الله تعالى ولا تسئموا، لأن الداعين إما لأحكام الله أو إلى الله فكونوا من القسم الثاني، وإن كان الأول حسن المشار إليه، لأن فيكم الأهلية لذلك إن شاء الله، وهي خلقه صلى الله عليه وسلم.

أيضا قال الحق المبين لرسوله الأمي: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}[4] وقال أيضا: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}،[5] والدعوة إلى الله محصورة في أقسام أولها وأجلها الأنبياء المرسلون، ثم الأولياء العلماء بالله، ثم العلماء بأحكام الله، ثم الملوك، وآخرهم رتبة المؤذنون، واعلموا أيضا أنه لا يبرء القلب من الأمراض إلا إذا أسلم من الاعتراض وأننا قد سمعنا من الوالد[6]

---

[1] - أخرجه أبو يعلى بإسناد صحيح، قال: حدثنا هدبة حدثنا مباركة بن فضالة، حدثنا الحسن عن سعد بن هشام بن عامر قال: قُلتُ يا أم المؤمنين حدثيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: يا بني أما تقرأ القرآن؟ قال الله: {وإنك لعلى خلق عظيم} (القلم:5) خُلُقُ محمد القرآن. أنظر: التميمي أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1986م، ط1، ج 8، ص 275.

[2] - سورة القلم، الآية 5.

[3] - سورة البقرة، الآية 195.

[4] - سورة يوسف، الآية 108.

[5] - سورة فصلت، الآية 33.

[6] - يقصد الشيخ الفقيه العارف بالله سيدي بن عبد الله بن عبد القادر شنتوف، (1825- 1895م)، الشريف الحسيني، العارف بالله، شيخ الطريقة الغريسية البوشنتوفية السحنونية الدرقاوية الشاذلية، المالكي مذهبا، الأشعري عقيدة، ولد بواد ماوسة، طلب العلم بأرض غريس ثم بأهل سيق وغيرها، ومن أبرز شيوخه، نذكر الشيخ محمد الحبوشي القلعي، الشيخ حسن بن الشرقي المختار، والشيخ أبو محمد الطيب الحبيب بن العلامة مصطفى الوجدي، والشيخ سيدي عدة بن غلام الله وغيرهم، ومن تلامذته الشيخ سيدي قدور بن سليمان المستغانمي، له حوالي إحدى عشر تأليفا أكثره في التصوف والعقيدة، منها: حادي العشاق ومثير الأشواق في الصلاة على صاحب البراق، العروة الوثقى، الشطحات المتشابهات... الخ. أنظر: العربي شنتوف، المصدر السابق،

أستاذنا قدس سره: "لا يدخل على حضرة رسول الله من كان في قلبه بغض أحد من أولياء الله"، ومعلوم أن الولاية خاصة وعامة، .... كل تقي، فانظروا إخواني هذا الشرط لأنه صعب، واتهموا أنفسكم وطهروها، لأن الطهارة طهارتان، بدنية وروحانية، فكما أن الطهارة البدنية المجازية لا تصح إلا بالطهارة الصورية المائية، فكذلك الروحانية لا تصح إلا بالطهارة المعنوية الحقيقية، على أن صحة الطهارة البدنية لا تصح إلا بكمال الطهارة الروحانية، إذ لا تهب رياح الأحوال[1] إلا بعد إخلاص الأعمال، ولا تصفوا الضمائر والأفكار إلا بعد ملازمة أعظم الأذكار، بل لا تحصل المعارف الربانية إلا بقدر اضمحلال الكونية، وأن الدنيا وكثافتها كلها إحجاب عن الآخرة، وأن الآخرة حجاب عن الله، وفي الحديث: إن الله احتجب بسبعة حجب، كما هي رواية علي كرم الله وجهه، وهي السبع الشداد، وفي رواية أظنها لأنس: بسبعين ألف حجاب من نور أو من نار،[2] وفي رواية: بيننا وبينه سبعون ألف حجاب من نور ومثلها من ظلمة[3]، وهذه الروايات صححها مولانا بن عزوز المراكشي،[4] ولا يهولنكم ذلك، فإن تلك الحجب قد تطوى في حجابين أو حجاب واحد.

لوحة 92- 97. للاطلاع أكثر على ترجمته أنظر تأليفنا: "القطف الداني في مناقب أولاد سيدي أحمد بن علي الثعباني".

[1] - هي المواهب الفائضة على العبد من ربه. أنظر: الكاشاني عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 52.

[2] - حديث مرفوع، ولم أقف على تصحيح سيدي بن عزوز المراكشي. روي عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: "هل ترى ربّك ؟، قال: إن بيني وبينه سبعين حجابا من نارٍ أو نورٍ، لو رأيت أدناها لاحترقت". الأصبهاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيّان، كتاب العظمة، تح: المباركفوري رضاء الله بن محمد إدريس، دار العاصمة، الرياض، ج 1، حديث 264، ص 670.

[3] - جاءت هذه الأحاديث بروايات كثيرة مختلفة، منها: "إن الله بينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب" حديث موضوع، ولم أقف على تصحيح سيدي بن عزوز المراكشي. أنظر: العفاني سيد بن حسين، أعلى النعيم الشوق إلى الله ورؤية وجهه الكريم، دار ماجد عيري، السعودية، ط1، 2006م، الفصل الثاني عشر: الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الحديث رقم 19، ص 610.

[4] - هو حكيم الإسلام أبو محمد بن عزوز المعروف بسيدي بلة بن عزوز (ت 1204هـ)، كان من علماء الظاهر والباطن، طبيب وعالم في الأسماء والأوفاق، أخذ عن الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد البكري اللمطي دفين سجلماسة، من مؤلفاته: رسالة الصوفي للصوفي، الأجوبة

وقد أسست رحلتي الحقيقة والمجاز على خطوتين فقط، خطوة ترابية بريّة، وخطوة مائية بحرية، وقد وصلنا حرم ليل، لأننا قد أحرمنا من البحر، فتلك العوالم كلها والحجب لا تخرج عن ملك وملكوت، أو خلق وأمر، فالملك ما ظهر وغيره ما خفي، ثم لا يخرج ذلك عن الإنسان الذي هو محل الإحسان، لأن ظاهره ملك وباطنه ملكوت،[1] أو ظاهره خلف وباطنه أمر، وظاهره جسم ترابي وباطنه روح نوراني، وهو مركب من بدن، فبتركه بدنه وروحه قطع تلك الحجب كلها، أو تقول بدنه فقط، وهي خطوة واحدة، وقد وصلت إليه، وهذا معنى قول الكليم حين سأله: أين أجدك يا رب ؟ قال: خل نفسك وتعال. وبالجملة، فلا يدل إلى الفتح الرباني الوهبي من في قلبه مثقال ذرة من إحساس الغيريّة،[2] وفي بعض الكتب المنزلة: "وعزتي وجلالي وارتفاعي في علو، لأقطعن أصل كل موصول بغيري بالإياس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولحرمته من قربي، ولقطعته عن وصلي، فكيف بوصل غيري، وأنا الكريم ويطرق أبواب غيري وبيدي مفاتحها، وهي مغلوقة (كذا) وبابي مفتوح لمن دعاني، من ذا الذي أصلني (كذا) في حاجة فقطعته دونها؟ من ذا الذي رجاني في مسألة فقطعت رجاه منها؟" انتهى. وفي الآثار: "خلقتك لنفسي فلا تلعب، وخلقت كل شيء لك فلا تتعب".[3]

[في خواص إسم الله الأعظم]

ولا وصول إلى الذات الغالية والمقامات العالية إلا بكهرباء حرارة الإسم الأعظم الله، فحينئذ تنقذف منه تلك الحرارة الربانية إلى سفينة الشريعة المحمدية فقوتها وضعفها في سيرها بحسب تلك الحرارة، بفروسية نوتيها، لأن الوجود لله لم يتحقق إلا به، فعليكم بهذا الإسم الأعظم، يا إخواني فبهذا الإسم سلوك ساداتنا الأصفيا الصوفية الشاذلية لا بغيره، وفي قطع الحجب له خاصية عظيمة، لأنه للتعلق لا للتخلق، قال صلى الله عليه وسلم: "الكل

النورانية، كشف الرموز...الخ. أنظر: الموقت المراكشي محمد، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط3، 2011م، ص 60.

[1] - الملكوت: عالم الغيب. الكاشاني عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 108.

[2] - أي ما سوى الله.

[3] - أنظر: ابن قيم الجوزية، الضوء المنير على التفسير، جمع: علي الصالحي، مؤسسة النور، السعودية، مج 4، ص 117.

شيء مصقلة ومصقلة القلوب ذكر الله"،[1] فبسببه يتصفى الإنسان من الكدرات الظلمانية والنورانية، إلى أن يصل قاب قوسين أو ادنى، وقال ابن عباس في معنى {ألمر}[2]: أنا الله أرى، وقال أيضا: فواتح السور كلها اسم الله الأعظم، ويكفيك أن الله ذكره في كتابه العزيز في ألفين وثلاثمائة وستين موضعا، وقال تعالى: {قُلِ اللهُ، ثُمَّ ذَرْهُم في خَوْضِهِم يَلْعَبُونَ}،[3] فجعل تعالى ما سوى النطق بهذا الإسم خوضا ولعبا بالنسبة إلى النطق به، وقال أيضا: {وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ}،[4] فجعل سبحانه ذكر هذا الإسم أكبر من سائر الأذكار والعبادات كما فسّر به بعض العارفين الآية، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله الله"،[5] حتى قالوا: الكون محفوظ باقي ما دام يُذكر فيه هذا الإسم، قلت: لأنه جامع لمعاني الذات والصفات والأفعال، وفي ذلك يقول الوالد الأستاذ [سيدي بن عبد الله شنتوف] سقاه الله من فيض فضله ...[6] في بعض رباعيته:

هُو اَسْمُ الذَّاتِ * جـــامعُ الصِّفاتِ * سلوكُ ساداتـــي * به لا مَحَالا

بـالأِلِــفِ جازوا * والأمين حازوا * وبالمدِّ فازوا * مِن اِسم الجَلالا

مِن الهاءِ فاضَت * مِياهٌ وسالت * بانسجامٍ دامتْ * لأهلِ الجَلالا

وقالوا أيضا: لو وضع هذا الإسم في كفة، والسماوات والأرضون والعرش والكرسي في كفة، لرجح بذلك، لأن المسمى به لا تقيده الأكوان،

---

[1] - أورده التبريزي في المشكاة قال: عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "لكل شيء صقالة، وصقالة القلوب ذكر الله، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله". انظر: القاري علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح –للتبريزي-، تح: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001م، ج5، كتاب الدعوات، باب ذكر الله عز وجل والتقرب إليه، رقم 2286، ص 165.

[2] - بداية سورة الرعد.

[3] - سورة الأنعام، الآية 91.

[4] - سورة العنكبوت، الآية 45.

[5] - انفرد به مسلم بلفظ: "لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله"، باب: لا تقوم الساعة على من يقول الله الله. يُنظر: النووي، مختصر صحيح مسلم، تح: الشوادفي أبو أحمد محمد صالح، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، رقم 148- 234، ص 92.

[6] - كلمة غير واضحة.

وباستحضار معناه من عظمة وجلالة وكبرياء، تحصيل الفائدة أن لم ترى سواه، وهذا الإسم قد أجراه الله على ألسنة ممن كانوا قبلنا، قال قوم نوح: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً}،[1] وقال قوم هود: {أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ}،[2] وقال: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}،[3] فإذا أراد الله زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين، وينزع هذا الإسم من ألسنة الجهال، فجاءهم عند ذلك الحق المبين، وقد يشار إلى ذلك ويؤخذ من قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا}،[4] فهذا الإسم خاصيته الإمساك، كما هي خاصية القطب، لأنه المتجلى فيه بأعظم التجليات، فهو الماسك أيضا والممسك لأجله، فإن زال هذا الإسم والمتجلى فيه زالتا، فمن اعترض على من يقول الله الله الله، فهو عند الله من الممقوتين،[5] لأنه صح في الآثار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر بسكك مكة ويقول: الله الله الله، فيقول أهل مكة: اشتغل محمد بربه[6] وأن الإسم الأعظم الله أخذه مولانا علي ولقنه له أبو بكر، ولقي أبا بكر رسول الله، بخلاف النفي والإثبات، فإن رسول الله لقي عليا بلا واسطة أبي بكر، كما يؤخذ من جامع الأصول،[7] وأن

---

[1] - سورة المؤمنون، الآية 24.

[2] - سورة الأعراف، الآية 70.

[3] - سورة الزمر، الآية 38.

[4] - سورة فاطر، آية 41.

[5] - ممن أنكر الذكر بالمفرد "الله الله الله"، الوهابية، واعتبروه بدعة لا أصل لها في السنة! رغم أن الأحاديث واردة وصحيحة كالحديث السابق الذكر الذي رواه مسلم في صحيحه.

[6] - ذكره حجة الإسلام الغزالي أبو حامد في كلامه عن الكرامات، قال: "وكرامات الأولياء هي على التحقيق بدايات الأنبياء، وكان ذلك أول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث تبتّل حين أقبل إلى جبل حراء، حين كان يخلو بربه ويتعبد، حتى قالت العرب: إن محمدا عشق ربّه". الغزالي أبو حامد، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، جسور، الجزائر، ط1، 2007م، ص 55.

[7] - جاء في جامع الأصول: "وأما تلقينهم فرادى، فروى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن عليا رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم... كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: غمض عينيك واسمع عني ثلاث مرات، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع، فقال لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلي يسمع، ثم قال علي: لا إله إلا الله كذلك والنبي عليه السلام يسمع. فهذه نسبة علي في تلقين الذكر. وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية، فذلك بإثبات من غير نفي بلفظ اسم الذات لقوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم {قل الله ثم ذرهم}، وهذه نسبة الصديق الأعظم التي أخذها باطنا عن النبي عليه السلام، وهذا هو الذكر الذي وقر في قلبه رضي الله عنه وعني به، لقول النبي عليه السلام عن ربه: (ما فضلكم

لكل نبي تجلي باسم من أسمائه تعالى، وقد تجلى الله تعالى لنبينا باسمه الله، فهو أعظم الأسماء، وفي مسألة غوْرَت(؟) كفاية لمن أنصف.

[في الذكر ومراتبه وآثاره]

قلت: والإنكار على أهل الله سبب للهلاك في الدارين إلا من رجع وتاب، والذي لم يرجع عن إنكاره فإن هذا الكلام عليه، لأنّه طبعٌ فرعوني المقام وجهله، فإن أبا جهل لم يرجع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأيّة آية، وكم جدلت آياته من جدل وخصمت من خصم، غير من شاكل أبا جهل وماثله والذي فهمته من كلام الله تعالى "اذكروني" أي باسمي الأعظم الذي هو اسم ذاتي، لأنه هو الذي يشار إليه وينسب بالنفس والذات، والمفهوم من كلام بعض الكبار رضي الله عنهم، أن ذكر العبد لله تعالى من نتيجة ذكره تعالى إياه، لأن خطاب الحق مع العبد بقوله "فاذكروني" كلام أزلي ذكرهم به نتيجة ذكره تعالى إياهم في الأزل، ونحمد الله تعالى أننا ذاكرون لله سرا وعلنا.

واعلموا أن للذكر الشرعي مراتب: ذكر اللسان، وذكر الأركان، وذكر النفس، وذكر القلب، وذكر الروح، وذكر السر، ومنهم من زاد على هته المراتب، ففي مقابلته كل منهما لله تعالى، ذكر بمعنى إفاضة فيض مناسب له، لأن التجلي مختلف، فإن الحق تعالى يتجلى لهذا من حضرة القلب أو الروح أو السر أو الخفي، أو أخفاه مثلا بما لا يتجلى لغيره، فعلى هذا ذكر اللسان الإقرار، وذكر الأركان الطاعات، وذكر النفس الاستسلام، وذكر القلب تبديل الأخلاق، وذكر الروح التفريد، وعلامة ذكر القلب الأولى هو اهتزازه حتى يتحرك في صدر الذاكر، وعلامة ذكر الروح يذكر منه كل شيء حتى شعره، وبذكر القلب تحصل الولادة المعنوية الذي قال فيه روح الله[1]: لم يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين، يعني ولادة القالب وولادة القلب، وذكر السر بذل الوجود في حقيقة الوجود، فكأنه قال تعالى: اذكروني

أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، بل بشيء وقر في قلبه)، وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين". أنظر: الكمشخانوي الخالدي النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، المطبعة الوهبية -طبعة حجرية-، سنة 1298هـ ص 25.

[1] - روح الله هو سيدنا عيسى عليه السلام.

بالإقرار أذكركم بإفاضة حقيقة الإيمان إلى قلوبكم، ثم وثم وهكذا إلى عدم نهاية، لأن مرتبة الإحسان لا انتهاء لها على التحقيق فالسالك يترقى إلى الوصول الذي حدوه، ولكن السّير لا ينتهي لأن كمالات الله لا تنتهي، فالسالك يصل لشهود حضرة الأفعال ثم الصفات ثم للذات، ويطلق على كل وصول بحسب مقامه، والفتح المطلق والوصول التام هو حضرة الذات، ولكن لا يقف أبدا، قال الله تعالى لحبيبه: {وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأولَى}،[1] قد حمله أهل هذا الشأن على اللحظة الآخرة، لأن كمالاته لا تتناهى، فالسائر في الحضرة لا انتهاء له أبدا سرمدا دنيا وأخرى، فالوصول ينتهي والسير فيها لا ينتهي.

واعلموا يا خواني أن الذكر باللسان وضيفة المبتدين والغائبين الغافلين، وبالقلب وضيفة الخواص والحاضرين، فليذكر السالك بلسانه حتى يتمكن في قلبه، وليشخص الذاكر حروف الخمسة[2] في قلبه حتى تزول تلك الحروف وتمحى، كما اختار ذلك مولانا العربي الدرقاوي[3] رضي الله عنه، فربما يعمر وجود السالك بهذا الذكر ما لا يعمر بالرياضة والمجاهدة في ألوف من السنين، وهذا الذكر لا بد له في التلقين من مرشد متصلة صحبته وطريقته بالحضرة النبوية كما هي لنا ولله الحمد، قال صلى الله عليه وسلم أن الذكر

---

[1] - سورة الضحى، الآية 4.

[2] - الظاهر أنه يقصد حروف اسم "الله" تعالى.

[3] - هو الإمام العارف بالله والمربي الشهير، الأستاذ العربي أبو المكارم العربي بن أحمد بن الحسين الدرقاوي (ت 1239هـ/1823م)، ولد ببني زروال سنة 1150هـ وتوفي بها، وهو شيخ الطريقة الدرقاوية في عصره، أخذ عن جماعة من الأولياء والكبراء الأصفياء مثل الشيخ العارف بالله أبو الحسن علي الجمل، وتخرج على يده الآلاف من الشيوخ والعارفين أمثال الشيخ محمد أبو زيان المعسكري. أنظر: بوزيان بن أحمد الغريسي، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار (ويُعرف بطبقات سيدي بوزيان الغريسي)، مخطوط بالمكتبة العامة الرباط، المملكة المغربية، رقم: 2339 د، لوحة 6- 7. أنظر أيضا: الكتاني الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: الكتاني عبد الله الكامل وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004م، ج1، ص 191، 192.

سيف الله،[1] وقال: "اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب"،[2] والاسم الأعظم المخزون المكنون الذي علمه الله لكليمه موسى عليه السلام هو هذا اسم الله، قال الله له: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ}،[3] فمن اطلع على معناه فقد اطلع على جميع الأسماء، فما أطنبت يا خواني في دلائل هذا الإسم وفضله إلا لتهييج هممكم، والعكوف به لتعرفوا به ربكم، ولما أحييتكم، فالأرض بدون معرفة الله لكم فما وصل الأقطاب والأبدال إلا به.

[كرامة المؤلف في ذكره اسم الله الأعظم]

وقد ظهرت لنا به عجائب على يد وسائطنا الكرام، وإني لا أذيع لحضرتكم منها إلا البعض، فإننا رأينا من الأمور ما لا يحملها عقل إنسان كامل، فمنها أني كنت أستبعد كثيرا ونحيل امتداد الزمن وطيه، كقضية صاحب الخبز الذي نزل بالنهر للاغتسال، فتزوج هناك ببنت وولد منها ولدين في مدة خمس سنوات، والمريد مع شيخه حين أدخله الخلوة فرجع إليه في الحال، فقال لشيخه إني أبطأت عليك فسامحني لأن أمي قد قبضتني نصف سنة وأنا مشتاق إليك، إلى غير ذلك من الحكايات في هذا الباب، وإني أذكر ذات ليلة من الليالي الاسم الأعظم الله، وأنا جالس مربع في غاية حضور العقل والسلامة من كل آفة، وكان من ديدني حتى الآن ودأبي أني أذكر بهذا بنفسي الداخل وبنفسي الخارج، ولكن لا يتأتى هذا إلا بذكر القلب إلا بمشقة، وهذا الذكر دفعا للشيطان ليلا، يجد سبيلا وطريقا للدخول في نفسي الداخل،

---

[1] - لم يرد ذكره في كتب الحديث حسب ما اطلعت عليه من مصادر، وهو أثر مشهور عند الشاذلية والنقشبندية، يظهر أنه من أحاديث السادة الصوفية سنده سلاسل رجال الطرق من قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى كل عارف في زمنه من كل طريقة، أو هو حديث مرفوع رفعا معلقا، أي من دون سند ولا راوي، وهنا يؤخذ به وفق درجة الاشتهار على قدر شيوعه على الألسنة وتدوينه في كتب العلماء أو بتناقل الأئمة المتقين بسند الطرق، وسند الطرق معتمد لحد ما عند أكثر الأئمة ما عدى الظاهرية والوهابية.

[2] - رواه ابن عساكر عن عطاء بن أبي مسلم مرسلا. أنظر: السيوطي، المنح الإلهية في ترتيب أحاديث الجامع الصغير على الأبواب الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، قسم الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث رقم 403، ص 59.

[3] - سورة طه، الآية 14.

وقد آذنني الشيخ[1] بهذا الذكر القلبي فقط، وأصله للنقشبندية[2] فصار لنا أصالة، فلما ذكرت ذلك ببعض الأنفاس الخارجي فقلت "الله"، فامتدت تلك المدة بين اللام والهاء بنفسي ولم تتقطع، فزيد في نفسي وامتداده فحسبت وعددت وأنا في حالة ذكر هذا الإسم الشريف مائة سنة ونفسي لم ينقطع، ثم ألف سنة ثم وثم، إلى أن بقيت في هذا النفس الذي لم ينقطع سبعين ألف سنة، ولم أبلغ إلى انتهاء الهاء فصرت مثل المَلَك الذي لا زال ماداً بالجلالة إلى انتهاء الساعة، ومع هذا فلا زال لم ينقطع مني، وكنت والله ثم والله ثم والله أن الحيرة[3] تتردد عليّ وأنا في هذا الحال نفسه، لأني في غاية من العقل واليقظة، عيناي مفتوحتان وأقول كيف ذلك، ونفسي لا يسع أقل من دقيقة، وإني أخلف بكل خلف أنه لو لم يقع لي ذلك في نفسي وذاتي لما صدقت أحدا أبدا، لكني أؤوله كما كنت، فلما تحققته من نفسي صدقت إذا، وأعذر والله كل من يكذبني ويحمل عليّ، فأنا أتلقاه بالقبول لأن هذا الأمر ليس من العقل في شيء، وهذا الأمر سهّل علي القول بالخلق الجديد،[4] كما يقول به بعض العارفين كابن

---

[1] - أظنه يقصد والده سيدي بن عبد الله شنتوف.

[2] - ينسبها أصحابها إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، غير أن هذه الطريقة استقت مبادئها من أربع شخصيات هي: سلمان الفارسي رضي الله عنه، أبو يزيد طيفور البسطامي، عبد الخالق الغجدواني، محمد بهاء الدين الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند. وقد عرفت في تاريخها بعدة أسماء وهي على الترتيب: صديقية، طيفورية، خواجكانية، ثم النقشبندية: وهي كلمة مؤلفة من جزئين: نقش، وهي صورة الطابع إذا طبع به على شمع أو نحوه، وبند: معناه ربط وبقاء من غير محو. فالكلمة تشير إلى تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه. أنظر: محمد أحمد درنيقة، الطريقة النقشبندية وأعلامها، جروس برس، ص 10، 11.

[3] - والحيرة هنا لا نعني بها التردد والشك لغة، إنما تُعرف في سياقها الذي عاشه الشيخ وعبّر عنه اصطلاحا، والحيرة في هذا المقام هي الغرق في بحار العلم بالله، مع دوام النظر إلى توالي تجلياته، ومعرفته في كل تجلٍ، وهي الغاية التي ينتهي إليها النظر العقلي والشرعي وكل سلوك في طريق المعرفة بالله، إلا أن هذا الغرق لا يغيبه عن إدراك توالي التجليات الإلهية. وإن شئت قلت: الحيرة ضلال الهدى، أي حيرة محمودة عند الشيخ الأكبر، وقال العارف الأمير عبد القادر: كلما زاد العلم بالله تعالى زادت الحيرة والجهل، وقال صلى الله عليه وسلم: "اللهم زدني فيك تحيرا". أنظر: الحكيم سعاد، المرجع السابق، ص- ص 359- 713. أنظر أيضا: الجزائري عبد القادر، المصدر السابق، ج1، ص 341. وانظر: ابن عربي محي الدين، الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص 410.

[4] - في الاصطلاح الصوفي: الخلق الجديد هو اتصال أمداد الوجود من نفس الرحمن إلى كل ممكن، لانعدامه بذاته مع قطع النظر عن موجده وفيضان الوجود عليه منه على التوالي حتى يكون في كل آن خلقا جديدا، واستمرار عدمه في ذاته. والخلق الجديد عند ابن عربي خلاصته

عربي[1] وأمير الجزائر في مواقفه،[2] لكني أقول به لأنه ينبني عليه عدم الرسالة وغيرها من الأحكام، ولذلك ردوا كلام النظام[3] في الأصول، وحملوا قول من فهم ذلك على السقم، وإن كان بعض العارفين يثبتونه لجلالة القدرة، حتى قالوا أن إتيان عرش بلقيس كان من قبيل ذلك كطواف البيت بالقطب[4] كل يوم لمن حمله على ظاهره، لأن العقل يستبعد إتيان عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف كالبيت، ولهذا أثبتوا أن الجوهر[5] لا يبقى زمانين كالعرض[6].

[حكم القول بالخلق الجديد وما تعلق به]

قلت: فإن كان هذا الأمر لا ينبني عليه هدم قاعدة من قواعد الإسلام فلا بأس به في الشيء الخاص لا العام، في كونه كله لما ينبني عليه كما علمت قبل، وهذا جزء قليل مما أثمر من الاسم الأعظم، وثمرته العظمى الكبرى التعلق بالله وحده ومعرفته.

أن الخلق في تغير دائم مستمر، أو هو على الدوام في خلق جديد، ولا فاصل زمني في هذا التجديد، إذ زمان ذهاب الصورة هو عين زمان وجودها الجديد. أنظر: الكاشاني عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 180. أنظر أيضا: الحكيم سعاد، المرجع السابق، ص 430.

[1] - سبق ترجمته.

[2] - جاء في الموقف السادس عشر من مواقف العارف بالله الأمير عبد القادر الحسني: "فالله هو الحق الثابت، و {ماذا بعد الحق إلا الضلال فأنّى تصرفون}، أي إلا صور وتقادير وخيالات وأوهام وظلالات لا ثبات لها، بل تفنى وتتجدد في كل آن، لكونها ليست حقا". أنظر: الجزائري عبد القادر بن محي الدين، المواقف الروحية والفيوضات السُبّوحية، منشورات مؤسسة الأمير عبد القادر الجزائري للثقافة والتراث، بيروت، ط2، 2018م، ج1، ص 56.

[3] - هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام، بصري من البصرة، من كبار المعتزلة وأئمتهم، متقدم في العلوم شديد الغوص في المعاني قيل توفي سنة 231هـ. أنظر: فرج بلحاج، إبراهيم بن سيار النظام بين الفلسفة وعلم الكلام، ص 10، 11.

[4] - عبارة عن رجل واحد هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، ويسمى بالغوث أيضا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو خلق على قلب محمد صلى الله عليه وسلم. الحفني عبد المنعم، المرجع السابق، ص 217.

[5] - ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع. الحفني عبد المنعم، المرجع نفسه، ص 68.

[6] - هو المضاف في الشيء، وليس من أصله، وهو عكس الجوهر.

[استئناف المؤلف وصيته لأهل فاس]

فعليكم يا إخواني بذكر هذا الإسم حتى تمتزجوا به وتدخلوا في حكمه وحيطته، فربما حكم الاسم وسلطانه عليه، فيكون روحا محض ويوكل الجسد إلى الروح تأكل الجسد، ويكون الحكم للروح لا للجسد، وفي هذا يقول حكيم الشاذليّة:[1] "إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك، ولم يسعك من حيث روحانيتك"،[2] فيكون كما كان صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء[3] أو بعض ورثته المسمى بالمعراج التحليلي،[4] لكن لا على الوجه المحمدي للورثة بل بالروح لا بالجسد وإن توهم، وحسب بعض أنه كان به بن عربي،[5] فإذا علمتم ذلك فاذكروا حتى لم تقبل قلوبكم طرحه ونبذه إن أردتم ذلك، لأنه قد امتزج فلا يمكنه الطرح والنبذ، كيف وأن الإنسان لا يمكنه أن يطرح ذاته من ذاته، لأن ذاته وهويته شيء واحد، وهذا هو العلم المخصوص بأهله، حتى سموا غيره ليس بعلم أصلا لأنهم لم يقصدوا به الله تعالى، حتى قال ابن مسعود

---

[1] - يقصد بحكيم الشاذلية: ابن عطاء الله السكندري، وهو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد الجذامي، ولد سنة 685هـ/ 1260م، وتوفي بالمدرسة المنصورية في القاهرة سنة 709هـ ودفن بزاويته، كان الشيخ فقيها في الشريعة من أهل الظاهر، إلى أن صحب الشيخ أبا العباس مرسي، وأصبح من أوائل مريديه، ترك ابن عطاء الكثير من المؤلفات، أهمها الحكم المعروفة باسم "الحكم العطائية" التي نالت اهتمام العلماء والعارفين من بعده وتعددت شروحها. أنظر: حمدي فؤاد مصيلحي، الإشارات النفسية عند ابن عطاء الله السكندري، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، ع6، 2014، ص 10، 11.

[2] - أنظر: صلاح عبد التواب سعداوي، مختصر شروح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، دار الفضيلة، الحكمة رقم 246، ص 282.

[3] - قوله ليلة الإسراء: يشير إلى إسرائه ومعراجه الجسماني صلى الله عليه وسلم وهو تشريعي، لأن فيه فرضت الصلاة، وعد له ابن عربي أربعا وثلاثين مرة أسري به، واحد بجسمه والباقي بروحه، والمعراج الأخير هو معراج الصوفية. أنظر: الحكيم سعاد، المرجع السابق، ص ص 573، 575.

[4] - المعراج التحليلي، أو الانسلاخ، كلاهما واحد في المعنى، قال العارف بالله سيدي الأمير عبد القادر: "وإيضاحه: هو أن يعلم أن كل ما يطلق عليه اسم موجود في أي مرتبة من مراتب الوجود كان، ليس هو إلا الحق تعالى، ظاهرا ومقيدا بحسب تلك المرتبة التي حصل الظهور فيها". أنظر: الجزائري عبد القادر، المصدر السابق، ج1، ص 51.

[5] - يقول الشيخ ابن عربي: "فلما أراد الله أن يسري بي ليريني من آياته... أزالني عن مكاني وعرج بي على براق إمكاني...". أنظر: الحكيم سعاد، المرجع السابق، ص 576.

رضي الله عنه: "ليس العلم بكثرة الروايات، وإنما العلم يقذفه الله في القلب"،[1] وهو يشير إلى أعلا أقسام الإيمان، وهو العلم بالله ولكن لا شك أن أقسام الإيمان ترجع إلى قسم واحد كما قاله العارف النابلسي[2] وغيره، وهو ما ورد عن الله تعالى، فالله المقادون لأفواههم، وتصورته المستدلون بأذهانهم، وشهدته العارفون بأسرارهم، فهو في المقلد قول وفي المستدل تصور وفي العارف شهود، بمنزلة من قال بلسانه نار، ومن تصور النار في ذهنه ومن أدرك حرارتها في بدنه، فالقائل يستند في قوله إلى غيره حاكيا عنه، والمستند يستند في تصوره إلى ذهنه حاكيا عنه، والمشاهد يستند في شهوده إلى حقيقة ما شهد حاكيا عنه، فمعلم الأول آخر مثله، ومعلم الثاني فكره، ومعلم الثالث ربه، وفي ذم القسم الثاني الفكر والعقل، قال العارف بالله أمير الجزائر الإدريسي المختاري مولانا عبد القادر في توحيد التجريد:

يَا مَن غَدَا عَابِداً لِفكرِه فَقِفْ * يا هذا أنتَ على شَفَا جُرُف

نَحتَّ رَبّاً وقُلتَ بِــــهِ * فأنتَ في طَرفٍ وَالحقُّ في طَرَف

قال بعض العارفين: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت" يعني توحيد التجريد، وشتان ما بين من ينطق عن غيره أو عن فكره، وبين من ينطق عن ربّه وعلى كل حال، فعظموا شأن العلماء والفقهاء فإن الطريق واحد، فإنهم قد حملوا لواء المحمدي وهم ورثته في المحمدية، فإيّاكم وإهمال حقوق العلماء، قال صلى الله عليه وسلم: "العلماء

---

[1] - نُسب هذا الكلام إلى ابن مسعود رضي الله عنه في كتاب قوت القلوب، والمشهور أنه قول الإمام مالك رضي الله عنه. أنظر: الشاذلي أبو الفضل عبد القادر، الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، كتاب ناشرون، لبنان، ص 11.

[2] - هو عبد الغني بن إسماعيل المعروف بـ النابلسي، يتصل نسبه بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقيه حنفي وشاعر ومتصوف على الطريقة القادرية ثم النقشبندية ورحّالة، له كتاب الحقيقة والمجاز، والحلل السندسية في الرحلة القدسية، و "بواطن القرآن ومواطن الفرقان"، توفي سنة 1134 هـ. أنظر: الغزي كمال الدين محمد العامري، الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، كتاب ناشرون، لبنان، ص ص 7، 8، 14.

ورثة الأنبياء"[1] وقال: "علماء أمتي أنبياء بني إسرائيل"،[2] ...[3] الأداة[4] أولهما وبعدهما تشبيه بليغ، فتحصل أن الحق الذي يجب الإيمان به واحد، ولكن يختلف باختلاف الظهوريات، فظهوره في أصحاب الأقوال غير ظهوره في أصحاب الاستدلال غير ظهوره في أصحاب شهود الأحوال، أرأيت ما ذكرنا من صورة النار فإنها لسان في لسان القائل على صورة غيره صورتها في ذهن المنصور غير صورتها في شهود من أحس بحرارتها وهي حقيقة واحدة، ولكن ظهرت في كل موطن بحسب استعداده، ولهذا اختلفت العبارات وتكلمت كل طائفة بما عندها والكل مصيبون ولكل منهم درجات، قال الله تعالى: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}،[5] وظهور الحق الظهور الشهودي أتم، ودونه الاستدلال ثم دونه التقليدي، وبهذا الاعتبار قولهم: "الصوفية الحقيقيون كلهم مجتهدون، لأنهم يشربون من عين الجمع بالعيان الحقيقي، وغيرهم من وراء الحجاب"، رضي الله عن الجميع وعنا بهم آمين.

[في أن غاية العلم التوحيد]

وأشار بعضهم إلى أقصى ثمرة العلم بقول الله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}،[6] والعلم كل العلم هو الخشية كما علمته من قول ابن

---

[1] - أخرجه الترمذي عن محمود، واختلف العلماء في صحته، جاء في عمدة القاري: "... ثم قال: كذا حدثنا محمود، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم... وهذا أصح من حديث محمود، ولا يعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم وليس إسناده عندي بمتصل... وقد روى (العلماء ورثة الأنبياء) بأسانيد صالحة...". وقال المحدث العجلوني: "رواه أحمد والأربعة وآخرون عن أبي الدرداء مرفوعا... وصحّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكتاني، وضعفه غيرهم لاضطراب سنده، لكن له شواهد، ولذا قال الحافظ له طرق يعرف بها أن للحديث أصلا". أنظر: العيني بدر الدين أبو محمد محمود، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر -طبعة حجرية-، 1348هـ ج2، كتاب العلم، ص 39، 40. أنظر أيضا: العجلوني إسماعيل بن محمد، المصدر السابق، ج2، حديث رقم 1745، ص 64.

[2] -قال السيوطي في الدرر ونقل عن ابن حجر أنه لا أصل له، وأنكره الشيخ إبراهيم الناجي، وقال النجم وممن نقله جازما بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي وابن قدامة. أنظر: العجلوني إسماعيل، المصدر السابق، ج2، حديث رقم 1744، ص 64.

[3] - بياض في الأصل.

[4] - في الأصل: الأدات.

[5] - سورة الزخرف، الآية 32.

[6] - سورة فاطر، الآية 28.

مسعود قبل، فالعلم إن كان لغيرٍ أبى أن يكشف به الحجب لمن مال به إلى غير مولاه، فلا تبجل حقائقه، وإنما يحصل له لفظه فقط، وخاصية ذكر التعلق فبالحق كما قدمنا لا التخلف بخلاف غيره فإنه للتخلف، وهذا هو توحيد الخاصة أو خاصة الخاصة ومعرفتهم هو معنى قول شيخ مشايخنا الشاذلية أبي مدين التلمساني[1] لمن سأله في بعض الوقائع الغيبيّة وهو ما حدث به الأستاذ المروزي[2] قال: "قال لي بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين

---

[1] - هو العارف بالله سيدي أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي، جمع الله له بين الشريعة والحقيقة، وقال التادلي أنه تخرج على يديه ألف شيخ من الأولياء، وكان من أعلام العلماء، من حفاظ الحديث، خاصة جامع الترمذي، ويلازم كتاب الإحياء، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك، أخذ عن شيخه أبو يعزى، وقرأ على الحافظ ابن حرزهم وغيره، توفي بالعباد خارج تلمسان سنة 594هـ. ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، 1336هـ/ 1908م، ص 114.

[2] - هو العارف بالله أبو محمد عبد الله المروزي الأندلسي، كان من أعيان القرن السادس والسابع للهجرة، لقب بالمروزي نسبة لمدينة مروز ببلاد المغرب، وهو من أصحاب الشيخ شعيب أبو مدين، ذكره تلميذه الشيخ الأكبر ابن عربي محي الدين في كتابه التدبيرات الإلهية وكتابه روح القدس، وقال عنه: "عاشرته معاشرة انتفعت به". أنظر: ابن عربي محي الدين، الفتوحات الربانية في شرح التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب ناشرون، لبنان، ج1، ص 187، 188. انظر أيضا: الكليبولي محمد بن صالح الكاتب، شرح فصوص الحكم لمحي الدين بن عربي، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب ناشرون، لبنان، ص 11، 12.

وأبا حامد[1] وأبا طالب[2] وأبا يزيد[3] وجملة من الصوفية، فقال أبو يزيد للشيخ، يعني أبا مدين: زدنا من التوحيد شيئا فقال: التوحيد هو النور الذي هو مادة كل نور، وما عداه فأغشيته وستور، هو الساتر المستور، وهو الأصل في كل الأمور، مادته لكل ناقص وزائد، فما تفرق في الوجود فهو عنده واحد، أودع بعض العارفين من الأسرار ما ميزه بها من الأغيار وأجرى ينابيع الحكمة في قلبه فأنبتت أرضه ثمار الإيمان وأزهرت بأنوار الإحسان فأعبقت بنسيم الذكر وجلال فكره في ميدان الفكر، فرؤى في حضرة الملكوت شاخصا واختطفته معنى الوحدانية مقاما(؟) فأفنته عن وجوده وعن الإحساس وغيبته عن مشاهدة الأنواع والأجناس، فكشفت له الغطاء عن سر الأسرار، فتلاشت الآثار والأخبار، فعاين من عظمة الجلال ما يليق به، وكشف السر الإلهي من غيبه فامتزج نوره بنور النور، وتجلى لقلبه الملك الغفور، فصفة العارف أبدا تسموا وترقى، وأسراره لمالكه تتردد شوقا، قلبه له أبدا سليم، وسره معه في الحضرة مقيم، ليس منه في الوجود إلا ظاهره، فينتظر ما ترد به أوامره، لا يشغله عنه شاغل، وهو معه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه في أي الجهات كيف شاء، ويكشف عن قلبه كل غشاء، فالعارف من آفة الغير محفوظ، وكل ما سوى الحق عنه مرفوض، ركن إلى الحصن المنيع فآواه، ودق نظره في معرفته فتمعن بمعناه، قيل: زدنا، قال: قلوب

---

[1] - يقصد الغزالي حجة الإسلام، وهو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزّالي، ولد بطوس سنة 450هـ، الإمام الفقيه حجة الإسلام، كاسر شوكة الملاحدة والباطنية، قدِم الغزالي نيسابور ولازم إمام الحرمين، وحصّل علوم المنقول والمعقول حتى بلغ منتهاها وردّ دعاويها، درّس بالنظامية في بغداد، واعتكف في خلوته بالشام، ثم رجع إلى طوس ومات بها سنة 505هـ ومن تآليفه: تهافت الفلاسفة، المنقذ من الضلال، قواعد العقائد. أنظر: السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الجلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج6، ص ص 191- 201.

[2] - هو أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، (ت 386هـ/ 996م)، صاحب كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب، واعظ زاهد فقيه، من أهل الجبل (بين بغداد وواسط)، نشأ واشتهر بمكة، ورحل إلى البصرة فاتُّهم بالاعتزال، وسكن بغداد فوعظ فيها، فهجره الناس لأقوال حفظوها عنه، وتوفي ببغداد. الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط5، 1980م، ج 6، ص 274.

[3] - يقصد البسطامي أبو يزيد طيفور بن عيسى، شيخ الصوفية وسلطان العارفين، القطب الغوث في زمنه، توفي سنة 261هـ وقيل 234هـ. أنظر: المزيدي أحمد فريد، أبو يزيد البسطامي سلطان العارفين، دار الكتب العلمية، لبنان، ص ص 7- 12.

الموحدين تسرح في رضاه في الحضرة العلية، وأسراره ما سواه فارغة خالية جالت أسرارهم في الملكوت فلاحظوا عظماته وتجلت لقلوبهم، فأنطقهم حكمته، وآنسهم فهو جليسهم وأفناهم عنهم فتلاشى كثيفهم، فامتزج المعنى بالمعنى فكانوا هو، ذهبت الرسوم وفنيت العلوم ولم يبقى إلا الحي القيوم، وهو معنى المعاني والحي الباقي".

وقوله: "وهو معنى المعاني"، إن رجعنا الضمير للحق فلا يصح إطلاق المعنى على الله إلا بتأويل الخالقيّة، والجامع بينهما الأصل، وفي هته المسألة خبط كبير بين أهله، والراجح أن الله تعالى محسوس لا يُدرك، تنزه من تنزيهه فنتنزه به، وفنى عن الأكوان بمشاهدة ربّه فعدا عن الأسماء وسما عن الصفات واضمحلت كليته في مشاهدة الذات، وبالمجملة فبسبب هذا الإسم الأعظم يسمع صاحبه حس البحر ثم يشاهده ثم يغرق فيه، فيموت به الموت فيه حيوة[1] أبدية لا موت بعدها أبدا، قال شاعرهم:

فالموت فيه حيوة *** وفي حياتي قتلي

وقال آخر:

اقـتـلـوني يـا ثـقـاتـي *** إنَّ فـي قَـتْـلـي حـيـوتـي

وحـيـاتـي فـي مَـمَـاتـي *** ومـمـاتـي فـي حـيـاتـي

أنـا عِـنـدي مَـحْـو ذاتـي *** مِـن أجَـلِّ الـمـكـرومـات

وبَـقَـائِـي فـي صِـفَـاتـي *** مِـن قـبـيـحِ الـسَّـيِّـئَـاتِ

[مراتب التوحيد]

وبعدما علمت توحيد خاصة الخاصة ومعرفتهم مجملا، فأقول أن توحيدهم التجريدي أيضا قد قسّموه على مراتب مفصلة، وعندي أن مراتبه لا تعد ولا تحصى أبدا، كما يقول الذي لعبده المتخلق بخلقه: اقرأ وارقا، كل

---

[1] - أي حياة.

بحسب تخلقه ومعرفته، فلا حصر إلا أن تقول هي أمهاته، قالوا: توحيد خاصة الخاصة على سبع مراتب: **المرتبة الأولى:** مرتبة التعين في الإطلاق والذات البحث، **المرتبة الثانية:** مرتبة التعين، فالأولى هي كنه الحق سبحانه وتعالى، والثانية عن علمه بذاته وصفاته، وقد يعبر عن هذه بالوحدة والأولى بالأحدية،[1] ومنهم من منع التجلي في الأحدية كابن عربي وغيره، ومنهم من أجازه وأنا من المجيز له، وله أن يتجلى لمن شاء بما شاء وكيف شاء، فلا يُحجز عليه كما أنه لم يحجّز علينا بذلك، وأحمده بأحديته وعدم تحجيره، إلا إذا حملنا ذلك على أن تجلي الأحدية للمخلوقية، وهي باقية للمخلوقية فنعم، لأن تجليها من الله له فلم يبق للمخلوق، **والمرتبة الثالثة:** مرتبة التعين الثالث، ويسمونها بالواحدية[2] والحقيقة الإنسانية، **والمرتبة الرابعة** عندهم الأرواح، وهي عبارة عن الأشياء الكونية الوجودية البسيطة، **والمرتبة الخامسة:** مرتبة عالم المثال، وهي عبارة عن الأشياء الكونية المركبة اللطيفة التي لا تقبل التجزي[3] (كذا) ولا التبعيض ولا الخرق ولا الالتئام، **والمرتبة السادسة:** مرتبة عالم الأجسام، وهي عبارة عن الأشياء الكونية المركبة الكثيفة التي تقبل التجزي والالتئام والتبعيض، **والمرتبة السابعة:** هي المرتبة الجامعة لجميع المراتب المذكورة الجسمانية والنورانية والوحدة والواحدية الخ، وهي مرتبة الإنسان الكامل، أو تقول الكون الجامع.

فالمرتبة الأولى رتبة الظهور والتعينات بعدها هي مراتب الظهور الكلية، والآخرة منها هي رتبة الإنسان إذا عرج وظهرت فيه جميع المراتب المذكورة مع انبساطها، يقال فيه الإنسان الكامل، والعروج والانبساط على الوجه الأكمل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لورثته بعده، ونزيد بيانا

---

[1] - اعتبارها مع إسقاط الجميع. أو هي: الذات دون الصفات. الكاشاني، المرجع السابق، ص 51. وانظر: مدرك خالد بن العربي، دراسة وتحقيق مخطوط القول المنبي عن ترجمة ابن العربي للسخاوي محمد بن عبد الرحمن، رسالة ماجستير 1421/1422هـ، ج1، ص 201.

[2] - اعتبار الذات من حيث انتشاء الأسماء منها، وواحديتها بها مع تكثرها بالصفات. وللتوضيح أكثر فمجلى الواحدية: هي نسب واعتبارات من الأحدية التي هي الذات، وهي مظاهر العالم المشهود، أو كما قال الشيخ محمد العربي شنتوف في الصفحة الموالية: "عبارة عن مجلى الذات فيها صفة". والواحدية هي صفاته عز وجل. أنظر أيضا: الكاشاني عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 73. مدرك خالد بن العربي، المرجع السابق، ص 201.

[3] - أي التجزئة.

فنقول: أن الأحدية عبارة عن مجلى الذات، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات والنسب الحقية[1] والخلقية، وهي أول تنزلات الذات من ظلمة العما (كذا) إلى النور المحال، ولك أن تقول هو تجلي الذات وحدها لذاتها التي لا نعت فيها ولا رسم، وهي ذات سحق ومحق لا ظهور[2] فيها ولا بطون، ولا أول ولا آخر، ليس فيها وجود حق ولا خلق، ولا وجود جمع ولا فرق، عارية عن جميع النسب والمقتضيات والأحكام والاعتبارات، وهذا تجلي "كان الله ولا شيء معه"،[3] فإن تنزلت بالنسب والأسماء والرسوم والنعوت فهي حضرة الأحدية الواحدية، والواحدية عبارة عن مجلى الذات فيها صفة، والصفة فيها ذات بلا فرق، فيها بين المنتقم والرحمن، والفرق بين الأحدية والواحدية أيضا، أن الواحدية بحر بموج، والأحدية بحر بلا موج، بمعنى أن الأحدية لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات، والواحدية يظهر فيها الأسماء والصفات، فهي مجلى قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾،[4] وهته المراتب الكليّة أنهاها البعض إلى ثمان بإقسام آخر لتلك المراتب نفسها وهي: مرتبة عالم الملك، وعالم الملكوت، وعالم الجبروت، والأعيان الثابتة والأسماء الإلهية، والصفات السبحانية، يعني بها الواحدية والأحدية، ووحدة الذات، والذات الحق، وهو بحت الذات وهويّة مطلقة وهو الغاية، قلت: أما من كونها مظاهر ومجال فهي سبع فقط، وأما من كونها مراتب فهي ثمان لأن الذات ليس مجلى لشيء، إذ لا اعتبار للتعدد فيها أصلا حتى العالمية والمعلومية.

[مراتب الحضرات]

وقد أثبتوا أيضا أن الحضرات أربع، فالبناء أولا في حضرة الأفعال، ثم في حضرة الأسماء، ثم في الصفات، ثم في الذات، ومن أثبت هذه الأربعة قال بالأحوال، فإذا قال السالك لا إله إلا الله في حضرة الأفعال قال: لا فعل

---

[1] - من لفظ: الحق.

[2] - في الأصل: الظهور.

[3] - جاء هذا الحديث بروايات مختلفة، رواه البخاري في صحيحه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله...". أنظر: البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، المصدر السابق، كتاب التوحيد، رقم الحديث: 7418، ص 1832.

[4] - سورة القصص، الآية 88.

إلا الله، وإذا قالها في حضرة الصفات فتبقى الصفات أيضا، ويقول: لا قدرة ولا إرادة ولا علم الخ إلا لله، ثم يبقى في حضرة الذات وهي أتم، فيقول لا وجود إلا لله، ويحصل له ذلك ذوقا وحال يتحقّقه من نفسه، لا كما يقول الضالون الوجودية[1] بقلقلة اللسان وهو تخليط بين المذهبين وإياكم وإياه، فعلى هذا إن الحضرات ثلاث كما جرى على ذلك العارف العجيب بن عجيبة[2] لمن تأمل كلامه، وهذه الحضرات الأربع على مذهب السنة والجماعة الذين يثبتون صفات المعاني والمعنوية، وقالوا أن لا حال، وأن الحال محال لأن كل من ثبت له وصف اشتق له منه اسم، فالقدرة مثلا اشتقينا منها قادرا وهكذا.

فحضرة الأحوال المتوسطة على هذا مطروحة ومنبوذة وهي حضرة الأسماء فقط، فتحصل أن الحضرات ثلاث على التحقيق، بل إن دققنا النظر تكون واحدة فقط، وإن كنا نعلم أن لله تعالى أربعة آلاف اسم أو أكثر، وأننا نعظمها ونسبحها، وهي الوسيلة إلى الصفة أو إلى الذات، لا هي فقط، فهي وسيلة لا مقصد، كما أن المحبة وسيلة، وفي علمنا هذا مهامه لا يهتدي لها إلا الراسخون المتغلغلون فيه، ومن لم يتغلغل فيه مات مصرا على الكبائر ولم يشعر، وقد أثبت الحاتمي بن عربي المعنوية ونفى المعاني، فقال أن الله

---

[1] - الوجودية: مذهب فلسفي يقول بوحدة الوجود: أي أن المخلوقات كلها إنما هي عين الذات الإلهية بالمطلق، فجعلوا الموجودات كلها موجودا واحدا هو الله، وهي وجودية الملاحدة. أما ما قصده الشيخ محمد العربي شنتوف في سياق كلامه أعلاه أن تحقيق السالك لقوله "لا إله إلا الله" إنما يحصل بالمكاشفة والمجاهدة والمشاهدة، فيغيب العالم عن نظره ويبقى وجه الله الواحد، إذ لا وجود على الحقيقة إلا لله تعالى وحده، فهذه وحدة الشهود الصوفية. وهي خلاف وحدة الوجود الفلسفية الموصول إليها بالعقل. للاطلاع اكثر أنظر: مدرك خالد بن العربي، المرجع السابق، ص 200.

[2] - هو العالم العارف أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة اللنجري التطواني، صاحب التفسير الشهير في أربع مجلدات ضخمة وحاشية الجامع الصغير للسيوطي، وشرح البردة والهمزية وغير ذلك، توفي سنة 1224ه بالطاعون. الكتاني عبد الحي بن عبد الكريم، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م، ج2، ص 854.

تعالى قادر بذاته مريد بذاته لا شيء زائد على الذات، وهو رأي مجتهد عارف لا تابع فيه للمعتزلة[1] قبحهم الله الذين يتكلمون بعقولهم.

[مذهب المؤلف في الاعتقاد]

على أني لا أقول بكلام بن عربي، وإني أقول أن لله صفات زوائد لوازم، ليسوا بعين ولا بغير، وربما هته المسألة تصعب على العقل من حيث أنها ليست بعين ولا بغير، فأقول: زوال الإشكال فيها، أننا نوسّع الدائرة، ونقول أنه في نفسك هل صفاتك عين ذاتك؟ فإنه إن زال عنك العلم مثلا أو القدرة أو الحيوة، فهل تصح الذات بدونهم؟ وإن لم تصح الذات بدونهم وتنعدم بعدمهم فإنهم عين الذات، فالوجدان والشهود على أنها زوائد، وإن قال بن عربي فيها قياس الغائب على الشاهد، وقد جمعت بعض العقائد التي فيها تدرك لبعض المتصوفة في نظمنا المسمى بالعقد الصحيح في رجز منهوك،[2] فمن ذلك قولي:

وَلَا أَقُولُ بِالأَحْوَالِ *** فَالحَالُ في الحالِ ارْتَطَم

والحقُّ في الحالِ مُحال *** لا مَن به اتَّسَم

اشتُقَّ منه اسمه *** ولكن يسموا في القَلَم

وَصِفَةُ الفِعلِ لَهُ *** حادثةٌ مثلَ الأَلَم

وهنا قولٌ شائِعٌ *** يقولُ فيه بالقِدَم

---

[1] - فرقة كلامية سُنيَة ظهرت بداية القرن الثاني للهجرة زمن الإمام الحسن البصري، سَمُّوا بالمعتزلة لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الإمام البصري في مسألة مرتكب الكبيرة، فقالوا بالمنزلة بين المنزلتين، اي أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا بمؤمن، بل بين المنزلتين، أي هو فاسق، وهو الأصل الرابع، ومنهجهم يعتمد على العقل مقدما على النقل، وأخذوا من الفلسفة وعلم الكلام وسيلة للرد علي الملاحدة وأعداء الإسلام، من أئمتهم: الزمخشري، أبو حيان التوحيدي، واصل بن عطاء، النظّام، الجاحظ، الخليفة المامون. انظر: الربيعي فالح، تاريخ المعتزلة، الدار الثقافية للنشر، مصر، ط1، 2001م، ص 18، 20، 21، 48.

[2] - هو البيت الذي حذف ثلثاه وبقي ثلثه وأكثر ما يأتي في بحر الرجز، يتكون البيت من تفعيلتين فقط (عروض وضرب) ويجوز فيه ما يجوز بسابقه.

إلى أن قلت:

عقيدتي نَفْيُ الحلولِ *** والاتحاد[1] بالقِدَم

فالرَّبُّ لا يُحلُّ في *** العبدِ كذا العكسُ ارْتَسَم

فالعبدُ عبدٌ حادثٌ *** والرَّبُّ ربٌّ يا أصم

والطبعُ مُنْتَفٍ به *** وعِلَّةٌ يَبْقى الكَرَم

تَوَلُّدٌ وَقُوَّةٌ *** مُودَعَةٌ به الحِكَم

إلى أن قلت:

ونُورُ أحمدَ بدا *** مِن نُورِهِ لَا مِن قِدَم

ومَن يَّقولُ غَيْرَ ذا *** فإنَّه قد انْفَصَم

وإن أتى مِن عَارِفٍ *** فمفهومٌ على سَقَم

قال به بن عربي *** وخَطَا الجَمُّ[2] وأمٌّ[3]

مُرادُهُ حقائقٌ *** وليس فيها مِن ألَم

---

[1] - هو ظهور العبد بصفة إلهية، أو هو تداخل صفات الحق في الخلق، وهو محال عند الشيخ الأكبر ابن عربي محي الدين وحذّر منه، وأنكره الشيخ الأمير عبد القادر الحسني في الموقف السادس من تأليفه، وقال سيدي بن عبد الله شنتوف:

ومن قاسوا الاتحاد بالربوبية * فقد جاءوا شيئا إدأ بالجهل والجفا

يكاد يتفطرن منه السماوات * وتنشق الأرض لولا المولى عنهما عفا

أنظر: الحكيم سعاد، المرجع السابق، ص 1180. أنظر أيضا: الجزائري عبد القادر بن محي الدين، المصدر السابق، ج1، ص 52. وانظر: شنتوف بن عبد الله بن عبد القادر، الحلل الفردوسية في نظم قطب الغريسية، طبعة حجرية، ص 46.

[2] - الجم: الكثير، والجمّة الجماعة والقوم. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج 12، ص 108.

[3] - الأم: القصد، والإمة والأمة: السنة، وإمام كل شيء: قيمه والمصلح له، أي يُقصد فيتميز. أنظر: ابن منظور، المصدر نفسه، مج 12، ص ص 22- 26.

فـقـبـضـــة حــادثـــةٌ *** لـيـسَ لـهـا شـأنُ الـقِـدَم

والـكـونُ كُـلّـه بــهـا *** فَـحـض بَـخـراً وَقـف وَزَم

يـا مَـن يـريـد رَمْـيَـنَـا *** فـإنّـنـا صَـيْـدُ الـحَـرَم

فصـيـدُهُ مُـحَـرَّمٌ *** ومــن رَمَـاه يـلـتـقِـم

والصَّـيـدُ لم يُوكَـل بحـال *** لأن الشَّــرْطَ لـم يَـتِـم

والشرط في أكل الذبيحة تمام موتها، والصّيد حي لا يموت أبدا ولذلك حرم، ولذلك قلت فإن موته محال، ثم قلت أيضا:

إنَّ الشَّـريـعـةَ لَـنَـا *** هِـيَ الـمِـحَـكُّ لـلـسَّـقَـم

فـارحـل إلـى وادِ الـنَّـقَـا *** يـا قلـبُ واهظَم من صَـدَم

إنَّ بــه شــريـعـةٌ *** صــافـيـةٌ تُـشـفـي السَّـقَـم

ونـــاداهُ فـــي نـــادِهِ *** يـا جَـدَّنَـا عـيـنُ الـكَـرَم

إنَّ وُلــوعــي فــيـكُـم *** إلا إذا الـقـلـبُ اتَّـجَـسَـم

ووجــبَ الــعــقــلُ بــه *** وقــد بــدا ربُّ الــكــرم

راجع العقد الصّحيح المنتظم إن شئت، هذه وصيتي لحضرتكم، ثم أوصيكم بما أوصى به الغريبَ أبو مغيث[1] قال: "عليك بنفسك، إن لم تشغلها

---

[1] - هو الحسين بن منصور الحلاج أبو مغيث، الصوفي المشهور، من أهل البيضاء بلدة بفارس، نشأ بواسط والعراق، وصحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي وغيرهما، والناس مختلفون في أمره بين مادح معظم ومكفّر، قُتل عام 309هـ بعد أن أجمع فقهاء بغداد بكفره. أنظر: الصفدي صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، فرانز شيتايز، شتوتغارت، ط2، 1991، ج 13، ص ص 70-73. وانظر أيضا: الشرقاوي عبد الله، شرح الحكم العطائية، كشيدة للنشر والتوزيع، ص 90.

بالحق شغلتك عن الحق"،[1] وقال آخر عظني، قال: "كن مع الحق بحكم ما أوجب"، وقال: "حرام على قلب العارف أن يحب سوى مولاه، وحرام على عينيه أن تنظر إلا إياه، وحرام على أذنه أن تسمع إلا نجواه، وحرام على لسانه أن يعبر إلا عن معناه فباسمه راحته، وبذكره رضاه، وبيده سقمه وشفاؤه، داؤه ودواؤه"، وأنشدوا:

كُلّ حبٍ غيرَ حبّكَ على قلبي حَرام * أنتَ يا روحٌ وريحانٌ وزهرٌ ومُدامْ

فاستمعوا يا إخواني لهذه العلوم، وافهموا جيدا {كُلُّ مَن عليها فانٍ}[2] من ذرّة وإجرام، {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبّكَ ذُو الجَلالِ والإكرامِ}،[3] فإن هذا الضمير الأرض الإمكان الجوازي، فربما تقول: هو الآن على ما عليه كان؛ لكن محبة وعشقا، لا كما يقولوه الضالون الوجودية، وهنا كلام في معرفة خاصة الخاصة لا تحيط به عبارة ولا تفي به إشارة، وقد تشبّب كثير من العارفين في هذه المعارف والتوحيد، فمن ذلك قولهم:

طَلَعَ البدرُ في دُجى الشّعرِ *** وسقى الوَردَ نرجس الحفرِ

غادةٌ[4] تاهَت الحِسانُ بها *** وَزهَا نورُها على القَمَر

هي أسنا[5] من المَهَاةِ[6] سَنا[7] *** صورةُ تقاس بالصُّور

---

[1] - وفي رواية: "عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك". أنظر الحكم العطائية.

[2] - سورة الرحمن، الآية 26.

[3] - الرحمن، الآية 27.

[4] - الغادة: الفتاة الناعمة اللينة، وشجرة غادة: ريّاً غضّة. ابن منظور، المصدر السابق، مج 3، غيد، ص 328.

[5] - السنا: العلو والارتفاع، وسنا: سطع، والسانية: الناضجة. ابن منظور، المصدر نفسه، مج 14، ص ص 403- 405.

[6] - المهاه: الحُسن والحلاوة، وأمهاه: سقاه، والمهاة: الشمس. ابن منظور، المصدر نفسه، مج 13، مهه وموه، ص ص 541- 545. وانظر: الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط8، 2005م، ميه ومهو، ص ص 1254- 1336.

[7] - استنادا على ما سبق، يجوز أن يكون السنا وقبله صيغة تفضيل اسنا بمعنى: أسقى، من السقاية، ويوافق ذلك معنى المهاة من الماء الساقي، وقبلها لفظ غادة بمعنى الشجرة المروية ريّاً غضّة، ويجوز أيضا أن يكون من السنا وهو الضوء، أو من السنا وهو العلو ويوافق ذلك معنى المهاة

فلك النورُ دون أخمَصِـــهـا *** تـاجُـهـا خـارجٌ عـن الإكـر[1]

إن سِرتَ في الضَّمير يجرحُها *** ذلك الوَهْمُ كيف بالبَصَـر

لعبة ذِكرنا يذوبها *** لطفت من مســـارح النَّظر

طَلَبَ النّعتُ أن يُبيّنها *** فتَعَالت فعَادَ ذا حَصَر

وإذا رامَ مَن يُكَيِّفُها *** لم يَزَل نَاكِصاً على الأثَر

رَوْحَنَتْ كُلَّ مَن أشَبَّ[2] بِها *** نَقْلَة عن مراتبِ البَشَرِ

غيرة أن يُشابَ رَائِقُها *** بالذي في الحِياضِ من كَدَرِ

[خاتمة الرسالة]

وعليكم السلام من لواهج قلوبنا وأسرار باقيين ذخائر مودتنا، ما لا يزعجه كتاب ولا يحصيه حساب، وقد زال البين والبرزخ[3] بيننا، وربما أقول: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، ولذا أقول بما قيل:

كَتَبْتُ ولَمْ أكتب إليكم وإنَّمـا * كتبتُ إلى روحي بغيرِ كتابِ

كما الرُّوحُ في جسمي لا يُفَرِّقُ بينها * وبينَ مُجيبِها بفصلِ خطابِ

اللهم طيّر في عالم الملكوت قلوبنا، حتى تسرح في عالم الجبروت أرواحنا، وخلقنا بالأسماء والصفات وافننا عنها بمشاهدة الذات، فإن هناك دوام اللذات، واجعل قرارنا ووطننا وسكننا في علانيتنا وأسرارنا ومدنا

الشمس أو الحُسن. فيعني الناظم: أسقى من سقاية المياه بذاتها، وإما يعني: أسطع من ضوء الشمس.

[1] - الأكرة: الحفرة في الأرض. ابن منظور، المصدر السابق، مج 4، أكر، ص 26.

[2] - أشبَ: خالط واختلط. ابن منظور، المصدر السابق، مج1، أشب، ص 214.

[3] - هو الحائل بين الشيئين، ويعبر به عن عالم المثال، أي الحاجز بين الأجساد الكثيفة وعالم الأرواح المجردة، أي الدنيا والآخرة. أنظر: الكاشاني عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 63.

بوجودك لوجودنا، في حركاتنا وسكوننا وركوعنا وسجودنا، وليس وراء هذا مرتقى، ولا غاية ولا منتقى.

إذا عرجَ العقلُ المقدَّسُ وارتقَى * وجاوزَ أصـــنافَ العوالِمِ وانتهَى

فعنـد جلالِ اللهِ يَـدهشُ طَرْفُـهُ * فليس وراء اللهِ للعقـلِ منتهَى

كتبه وسطره الفقير إلى مولاه محمّد العربي نجل بن عبد الله الحُسيني ثم الحَسني الدرقاوي[1] الغريسي الثعباني،[2] على ما به من المرض في الجوهر والعرض، والعبد إن كان صحيحا سالما فذوا تقصير وجمع معانيه في تكسير، في اليوم الرابع من ربيع الثاني المنتظم في سلك خمس وأربعين بعد الثلاثة مائة والألف من هجرة من هو على أكمل ألف، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، سنة 1345هـ.[3]

---

[1] - في الأصل: الدرقوي.

[2] - الثعبانيون: هم أحفاد سيدي أحمد بن علي الثعباني. أنظر: بن بكار الهاشمي، المصدر السابق، ص 138، 139.

[3] - الموافق لـ 1926م.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة:

1- بوزيان بن أحمد الغريسي الحسيني، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار (طبقات سيدي بوزيان الغريسي)، مخطوط بالمكتبة العامة الرباط، المملكة المغربية، رقم: 2339 د.

2- شنتوف العربي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز، مخطوط بخزانة الشيخ محمد التهامي، معسكر.

المصادر المطبوعة:

3- الأصبهاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان، كتاب العظمة، تح: المباركفوري رضاء الله بن محمد إدريس، دار العاصمة، الرياض.

4- بن بكار بلهاشمي، مجموع النسب والحسب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961م.

5- البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير بيروت، ط1، 2002.

6- الجزائري عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبّوحية، منشورات مؤسسة الأمير عبد القادر الجزائري للثقافة والتراث، بيروت، ط2، 2018م.

7- الجيلاني بن عبد الحكم اليحياوي العطافي، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، نسخة خاصة، الجزائر، ط2، 2006م.

8- الجرجاني عبد الله ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان.

9- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط5، 1980م.

10- الكتاني عبد الحي بن عبد الكريم، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.

11- الكتاني الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: الكتاني عبد الله الكامل وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004م.

12- الكليبولي محمد بن صالح الكاتب، شرح فصوص الحكم لمحي الدين بن عربي، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب ناشرون، لبنان.

13- الكمشخانوي الخالدي النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، المطبعة الوهبية ـطبعة حجرية-، سنة 1298ه.

14- اللخمي سديد الدين أبو محمد عبد المعطي الإسكندري، شرح منازل السائرين للهروي عبد الله الأنصاري، كتاب ناشرون، لبنان.

15- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

16- المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1988م.

17- المراكشي الموقت محمد، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط3، 2011م.

18- ابن مريم أبو عبد الله محمد التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، 1336هـ/ 1908م.

19- النووي، مختصر صحيح مسلم، تح: الشوادفي أبو أحمد محمد صالح، دار الكتب العلمية، لبنان.

20- السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الجلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

21- السيوطي، المنح الإلهية في ترتيب أحاديث الجامع الصغير على الأبواب الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت.

22- بن عجيبة أبو العباس أحمد بن محمد الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبع على نفقة حسن عباس زكي، القاهرة 1999م.

23- العجلوني إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة المقدسي، 1351هـ.

24- العيني بدر الدين أبو محمد محمود، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر -طبعة حجرية-، 1348هـ.

25- العسقلاني ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1327ه.

26- العفاني سيد بن حسين، أعلى النعيم الشوق إلى الله ورؤية وجهه الكريم، دار ماجد عيري، السعودية، ط1، 2006م.

27- ابن عربي محي الدين، الفتوحات الربانية في شرح التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب ناشرون، لبنان.

28- ابن عربي محي الدين، الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، لبنان.

29- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط8، 2005م.

30- الصفدي صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، فرانز شيتايز، شتوتغارت، ط2، 1991.

31- صفوت عبد الفتاح محمود، المغني في معرفة رجال الصحيحين، دار الجيل -بيروت-، دار عمّار، عمّان.

32- القاري علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – للتبريزي-، تح: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001م.

33- ابن قيم الجوزية، الضوء المنير على التفسير، جمع: علي الصالحي، مؤسسة النور، السعودية.

34- الشاذلي أبو الفضل عبد القادر، الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، كتاب ناشرون، لبنان.

35- شنتوف بن عبد الله بن عبد القادر، الحلل الفردوسية في نظم قطب الغريسية، طبعة حجرية.

36- الشعراني عبد الوهاب، لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية للشيخ الأكبر ختم الولاية المحمدية محي الدين بن عربي، تح: الشيخ أحمد فريد المزيدي، كتاب ناشرون.

37- الشرقاوي عبد الله، شرح الحكم العطائية، كشيدة للنشر والتوزيع.

38- التميمي أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1986م.

39- الخالدي العمراني عبد السلام، الجواهر الباهرة في النسب الشريف وما تفرع من آدم إلى أزمنتنا الحاضرة، دار الكتب العلمية، بيروت.

40- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر، لبنان، 2012.

41- الغزالي أبو حامد، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، جسور، الجزائر، ط1، 2007م.

42- الغزي كمال الدين محمد العامري، الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، كتاب ناشرون، لبنان.

المراجع:

43- درنيقة محمد أحمد، الطريقة النقشبندية وأعلامها، جروس برس.

44- الحداد أبو عبد الله محمود بن محمد، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، دار العاصمة للنشر بالرياض، 1987، ط1.

45- الحكيم سعاد، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، ط1، 1982.

46- مدرك خالد بن العربي، دراسة وتحقيق مخطوط القول المنبي عن ترجمة ابن العربي للسخاوي محمد بن عبد الرحمن، رسالة ماجستير 1422/1421هـ.

47- المزيدي أحمد فريد، أبو يزيد البسطامي سلطان العارفين، دار الكتب العلمية، لبنان.

48- حمدي فؤاد مصيلحي، الإشارات النفسية عند ابن عطاء الله السكندري، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، ع6، 2014.

49- الحفني عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1987.

50- الكاشاني عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تح: عبد العال شاهين، دار المنار، ط1، 1992.

51- سعداوي صلاح عبد التواب، مختصر شروح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، دار الفضيلة.

52- فاروق عبد المعطي، الأعلام من الفلاسفة –محي الدين ابن عربي-، دار الكتب العلمية لبنان.

53- فرج بلحاج، إبراهيم بن سيار النظام بين الفلسفة وعلم الكلام.

54- الربيعي فالح، تاريخ المعتزلة، الدار الثقافية للنشر، مصر، ط1، 2001م.

55- شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر.

الفهرس

رسالة تعطير الأنفاس

لإخواننا من أهل فاس

للعارف بالله سيدي محمد العربي بن عبد الله شنتوف

(1857 - 1930 م)

(شيخ زاوية سيدي بن عبد الله الشاذلية بحاضرة معسكر)



2019 فيفري ISBN : 978-9947-38-222-6





02 نهج حفصي الطاهر "وراء الولاية" - سطيف / الجزائر
النقال: 0550.96.31.07 / 0550.96.31.19
هاتف/ فاكس: 036.82.58.09
البريد الالكتروني: dar.moudjadid@gmail.com
على الفيس بوك: دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع